

روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

آخر الجبابرة



المؤلف



نجيل فاروق

رجل  
المستحيل  
سلسلة  
روايات  
بوليسية  
للجيب  
زاهرة  
بالأحداث  
المثيرة

٢٦

التميز في مصر  
وما يعادل دولارا أمريكيا  
في سائر الدول العربية والعالم

● آخر الجبابرة ●

- كيف بقي أحد الجبابرة الألمان هارنا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى الآن ؟
- هل يمكن إخراج آخر الجبابرة هذا من دولة تطلب رأسه ؟
- نرى .. أليس ( أدهم صرى ) في إنباء هذه العملية أم يسقط في براثن اغتارات الشرقية ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة .. لتري كيف يعمل ( رجل المستحيل ) .



www.dvd4arab.com

الناشر  
المؤسسة العربية للدراسات  
البحث والتطوير  
... والاعلام ... القاهرة - ١٩٩٥

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المختبرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

## ١ — ذئب وارسو ..

رفع رجل الجمارك البولندى رأسه ، يضرّس في ملامح الراكب الذى وصل ثوبا بصحبة زوجته ، على متن الطائرة القادمة من القاهرة ، ثم جذب الحقيبة المتوسطة الحجم التى وضعها الراكب أمامه ، وفتح قفلها ، وهو يقول فى صرامة اكتسبها من طول عمله فى الجمارك :

— هل معكما مطبوعات أو عملات شرقية أو .... ؟  
قاطعه الراكب فى ارتباك يوحى بعدم اعتياده مثل هذا النوع من الإجراءات :

— إننا لا نحمل سوى ملابسنا ، فلن نقضى أكثر من أسبوع .

أخذ رجل الجمارك يعيث بمحتويات الحقيبة ، وهو يخلص النظر إلى الراكب ، الذى عدّل من وضع منظاره الطئى ، ثم أعاد خصلة نافرة من شعره الأسود الفاحم إلى

٥

مكانها ، وداعب شاربته فى توتر ، دفع رجل الجمارك لسؤاله فى خيبت :

— ماذا يقلقك أيها السيد ، مادمت لا تحمل شيئا من المنوعات ؟

تطوّعت السيدة المصاحبة للراكب ، بإجابة السؤال قائلة :

— من المؤسف أن زوجى يرتبك دائما ، حينما يواجه أية إجراءات طويلة .

ابتسم رجل الجمارك فى مكر ، وأخذ يفتش محتويات الحقيبة بدقة متناهية ، ويدق على جدرانها ، ويقيس قاعها إلى أن تأكد له خلوها التام من أية ممنوعات ، فمدّ يده إلى السيدة قائلا فى صرامة :

— حقيقتك من فضلك .

ناولته السيدة حقيبتها ، وهى تقول فى لامبالاة :

— لست أحمل سوى بعض مساحيق التجميل والحلى .

تأكد رجل الجمارك من صدق قولها ، وقال وهو يعيد الحلى إلى الحقيبة ؟

٦

— هل هذه الحلى مئبته بجواز السفر يا سيدى ؟  
أجابته فى هدوء :

— نعم .. إنها كذلك .

فتح الرجل جوازى سفرهما ، وألقى عليهما نظرة فاحصة سريعة ، ثم أعادهما إليهما مبتسما ، وهو يقول :

— معذرة لطول الإجراءات يا سيد (أسامة صلاح) ،  
ويا سيّدة (ماجدة) .. إنه القانون .

تناول السيد (أسامة) جوازى سفره وزوجته ، وهو يعدّل منظاره الطئى ويقول :

— لا عليك يا سيّدى .. مادام هو القانون ، فليس أمامنا سوى طاعته .

حل (أسامة صلاح) حقيقته ، وسار وإلى جواره زوجته تتأبط ذراعه ، وهى تتهدّد فى ارتياح ، وتشكر ربّها ؛ لأن رجل الجمارك لم يحاول معرفة نوع مساحيق التجميل التى تحملها فى حقيبتها ، وابتسمت ابتسامة هادئة ، حينما تصوّرت ما كان يمكن أن يحدث ، لو أنه حاول تحليل هذه المساحيق .. كان سيصاب بصدمة ولا شك .

٧



ثم التفتت إلى زوجها الذى سار صامتاً ، وهو يعرج فى شكل غير ملحوظ ، وهمسست فى أذنه بالعربية :

— أما زالت ساقك تؤلك بإسيادة العقيد ؟

ابتسم زوجها ، وقال فى هدوء :

— ليس كسابق عهدها يا عزيزتى .

ثم توقف خارج المطار ، وأشار إلى إحدى سيارات الأجرة ، وهو يقول ساخراً :

— يبدو أن الرصاصة التى اخترقت ساقى ، قد أصابت هدفها لأول مرة .

ابتسمت الفتاة التى تظهر بكونها زوجته ، وهى تندس على المقعد الخلفى للسيارة الأجرة ، وسمعه يقول للسائق بالإنجليزية :

— فندق ( وارسو ) أينما السائق .

ثم استرخى فى مقعده ، وأغلق عينيه ، ولم يحاول هى إزعاجه ، فاكشفت بأن اختلست النظر إليه ، ثم استرخت بدورها فى هدوء ..

ولم يكن الرجل نائماً ، وإنما كان يسترجع فى ذاكرته الحديث الذى دار بينه وبين مدير المخابرات المصرية فى صباح أمس .. ذلك الحديث الذى قاده إلى تلك المهمة التى هو بصدها الآن ..

\*\*\*

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة صباحاً ، حينما دخل إلى حجرة مدير المخابرات المصرية ، الذى استقبله ميتسماً ، وأشار إليه بالجلوس على المقعد المقابل لمكتبه ، وهو يقول :

— كيف حالك يا ( أدهم ) ؟.. هل شُفيت ساقك اليسرى ؟

ابتسم ( أدهم صبرى ) ، وقال :

— ليس تمامًا يا سيدي ، ولكنها لم تعد تؤرقنى .

حرك مدير المخابرات رأسه دلالة على الفهم ، ثم تناول صورة فوتوجرافية من أمامه ، وناولها إلى ( أدهم صبرى ) وهو يقول :

انظر إلى صاحب هذه الصورة جيّداً يا ( ن — ١ ) ، وأخبرنى ملاحظاتك عنه .

تناول ( أدهم ) الصورة الفوتوجرافية ، ونظر إلى الوجه الموجود بها جيّداً .. كانت لرجل فى الستين من عمره تقريباً ، فضّى الشعر ، ناعمه ، يبدو فى ملامحه أثر وسامة قديمة ، وتنمّ عيناه الضيقتان الزرقاوان عن صرامة وبأس ، على حين توحى ذقنه العريضة بالقوة والحزم .. وتلوح على جبهته العريضة علامات الذكاء .. كان وجهه فى مجمله يوحى بالجذبة وقوة الشكيمة ..

أعاد ( أدهم ) الصورة إلى مدير المخابرات ، وهو يقول :

— إنها صورة لرجل ألماني أو نمساوى ، فى العقد السادس من عمره تقريباً .. بالغ الذكاء برفق العزيمة ، يعمل فى الجهاز العسكرى أو المخابرات ، ولكنه يكن فى صدره الكثير من القسوة .

ابتسم مدير المخابرات ، وقال وهو يستعيد الصورة :

— رائع يا ( ن — ١ ) .. إنك لم تفقد فراستك بعد ..

ثم اعتدل ، وقال فى جدّة شديدة :

— هذا الرجل يدعى ( ثون هملن ) ، وهو باختصار آخر رجال الجستابو ، الباقين من الحرب العالمية الثانية . اتسعت عيننا ( أدهم ) دهشة ، وهو يقول :

— الجستابو ؟.. جيايرة الاستجواب الألمان !.. وكيف يقضى إلى يومنا هذا ؟.. ألم يحاكم بتهمة الإجرام الحربى ؟

هزّ مدير المخابرات رأسه نفياً ، وقال :

— إن ( ثون هملن ) كان من أكثر رجال الجستابو قسوة وحزماً .. ولقد طالبت معظم الجهات برأسه ، بعد هزيمة ( ألمانيا ) فى الحرب العالمية الثانية ، ولكنه نجح فى الفرار والاختفاء طيلة أربعين عاماً ، ولقد كان فى الخامسة والعشرين حينما سقطت دولة الرايخ ، وهو الآن فى الخامسة والستين ، وإن لم يفقد الكثير من ذكائه ، ولياقته البدنية المرتفعة .

سأل ( أدهم ) في دهشة :

— وما علاقتنا نحن برجل الجستابو السابق هذا ؟

صمت مدير المخابرات لحظة ، ثم تابع وكأنه لم يسمع

سؤال ( أدهم ) :

— ولقد أختبأ ( فون هملن ) في ألمانيا الشرقية ، طيلة

هذه السنوات الأربعين ، متحلاً أسماء أشخاص مختلفين ..

بل لقد نجح في الانضمام إلى جهاز مخابرات ألمانيا

الشرقية ، طيلة خمس وثلاثين عاماً ، إلى أن كشف جهاز

المخابرات السوفيتي حقيقته .

أطلق ( أدهم ) من بين شففيه صغيراً قصيراً ، ثم قال

في سخرية :

— وهل بقي منه ما يكفي للء فنجان شاي ياسيدى ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وقال في هدوء :

— بل بقي منه ما يكفي للء خلّسه بأكملها

يا ( ن — ٩ ) ، فلقد استغل ( فون هملن ) تصريح السفر

الذي يحمله ، وأسرع بمغادرة ( برلين ) فور معرفته بكشف

أمره على أول طائفة ، ولكنها لسوء حظّه كانت متجهة إلى  
( وارسو ) في ( بولندا ) ، حيث وجد نفسه سجناً  
هناك ، بعد أن ودّعت المخابرات الألمانية الشرقية صورته في  
كل مطارات الدول الشرقية .

هزّ ( أدهم ) كتفيه ، وقال :

— ما زلت أسأل عن علاقتنا بهذا الأمر ياسيدى ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

— ما زلت متعجباً كهادتك يا ( ن — ٩ ) .

ثم تحول إلى الجدّة وهو يستطرد :

— لقد اختار ( فون هملن ) مصر دون دول العالم

أجمع ، ليطلب منّا مساعدته في الحرب ، ومنحه حق اللجوء

السياسي .

ظهرت في وجه ( أدهم ) علامات الإعجاب ، وهو

يقول :

— يا له من رجل !! كيف فعل هذا ؟

قال مدير المخابرات :

— لقد كشف لنا عن كثير مما يعلمه عنا رجال المخابرات

الشرقية ، برسالة سخرية ، أرسلها إلى مكتبتي في ألمانيا

الغربية ، والذي أرسلها لنا بدوره .. ولقد أوضحت

الرسالة أن ( فون هملن ) يعلم جيّداً أننا لن نحاول إخراجه

من ( بولندا ) ، متحذرين علاقتنا الحسنة بالدول الشرقية ،

وأننا لن نمنحه حق اللجوء السياسي ، إلّا إذا وصل بالفعل

إلى مصر ؛ ولذلك فقد حاول جذبنا إلى مساعدته ،

أو بمعنى أدق إغراءنا بذلك ، فأخبرنا في الرسالة أنه يحمل

معه ملفاً يحوى كل ما جمعتنا عنا المخابرات الشرقية ، ويقول

إنه النسخة الوحيدة ، وإنه مستعد لتسليمنا إيّاه ، لو أننا

ساعدناه على الهرب من ( بولندا ) ، وإلّا فسيعيدنا إلى

المخابرات الشرقية .

هزّ ( أدهم ) رأسه في جدل ، وقال :

— يبدو أن ( فون هملن ) هذا سيحوز إعجابي .. لقد

خطّط للأمر بمتى الدقة والبراعة ، حتى أننا لن نستطيع

مقاومة هذا الإغراء .. ملفنا الكامل في المخابرات الشرقية

مقابل تهريبه .. أعتقد أنها صفقة رائعة ياسيدى .

ظهر القلق على وجه مدير المخابرات ، وهو يقول :

— إنها صفقة رائعة ولاشك يا ( ن — ٩ ) ، ولكن

هناك عقبات ضخمة تعترض طريقها .. علاقتنا الحسنة

بـ ( بولندا ) ، وكتمّ المخاطرة المحيط بالأمر ، بالإضافة إلى أن

( بولندا ) دولة شبه محاصرة بالدول الشرقية ، التي تدين بالولاء

للمخابرات السوفيتية ، فمن الجنوب ( تشيكوسلوفاكيا ) تليها

( النمسا ) ، ومن الشرق ( الاتحاد السوفيتي ) نفسه ، ومن

الغرب ( ألمانيا الشرقية ) .

اتسعت عينا ( أدهم ) جدلاً ، وهو يقول :

— ما زال أماننا الشمال ياسيدى .. فهناك البحر

البلطي ، الذي يقودنا إلى ( السويد ) .

ابتسم مدير المخابرات ، وقال في إعجاب :

— هذا بالضبط ما قدّرته خيراؤنا يا ( ن — ٩ ) ..

ثم تناول جوازي سفر من مكتبته ، قدّمهما إلى

( أدهم ) قائلاً :



ابصمت ( منى ) فى سخرية ، وقالت وهى تخلص  
النظر إلى ( أدهم ) :  
— نعم أيها السائق .. الآن يبدأ كل شيء .

\*\*\*



١٧

— أنت منذ هذه اللحظة (أسامة صلاح) ، مؤلف  
مصرى ، وستذهب فى رحلة سياحية إلى ( وارسو ) ،  
بصحبة زوجتك ( ماجدة ) ، التى لن تكون سوى النقيب  
( منى توفيق ) .

وصمت لحظة عاد يقول بعدها :

— لن تكون مهمتك سهلة يا ( نـ ) .. ولابد  
لك من أن تتحول إلى ذئب ، حتى يمكنك تنفيذها ..  
حاول أن تتجسس ..

نهض ( أدهم ) مستمًا فى هدوء ، ومد يده يصفح  
مدير المخابرات ، قائلاً فى ثقة :

— سننجح بإذن الله يا سيدي .. سننجح .

\*\*\*

ترددت الكلمة الأخيرة فى ذهن ( أدهم ) أكثر من  
مرة ، حتى شعر بالسيارة تتوقف ، وسمع صوت سائقها ،  
وهو يقول فى لهجة وذود :

— ها قد وصلنا إلى فندق ( وارسو ) يا سيدي ..  
منذ هذه اللحظة تبدأ رحلتك الممتعة فى ( بولندا ) .

١٦

## ٢ — قلب الخطر ..

لم يكذب ( أدهم ) و ( منى ) بتهيان من وضع  
حقيبتيهما بالفندق ، ويبدلان ثيابهما ، حتى هبطا إلى  
البنو ، وتقدم ( أدهم ) إلى موظف الاستقبال ، وسأله  
مظاهرًا بالازتيك ، شأن الرجل الذى يغادر وطنه للمرة  
الأولى :

— كيف يمكننى الوصول إلى قلب المدينة ؟ .. أغنى ..  
هل يمكننى استئجار سيارة ؟ أو ....

قاطعه موظف الاستقبال فى برود ، قائلاً :

— المواصلات العامة متوفرة للغاية فى ( وارسو )  
يا سيدي ، ويمكننى أن أرشدك إلى أيها يوصلك إلى  
غايك ، ولكننى لا أنصح بالترحال خارج الفندق بعد  
الثامنة مساءً ، فالاضطرابات العمالية تزايدت هذه الأيام .  
سأله ( أدهم ) فى خبث :

١٨

— هل تعنى أن الأمن غير مستتب هذه الأيام ؟  
شعب وجه الرجل ، وتلفت حوله فى دُعر ، وهو يقول  
بصوت أقرب إلى الخمس :

— إننى لم أقل ذلك يا سيدي .. إننى لم أشر إلى  
الأمن مطلقًا ..

تظاهر ( أدهم ) بعدم ملاحظته ما أصاب الرجل ،  
وقال وهو يغادر الفندق ، مصطحبًا ( منى ) :

— حسنًا أيها الرجل .. سننصّب نصيحتك ، ولن نبتعد  
كثيرًا .

وما أن غادرا الفندق ، حتى سأله ( منى ) فى  
دهشة :

— لم سأله عن التوجه إلى قلب المدينة ؟ .. أنت تعلم  
مثل أن ( فون هلمن ) يختبئ فى طرف المدينة بجوار ...  
قاطعها ( أدهم ) فى صرامة قائلاً :

— احذرى النطق باسم الرجل مرة ثانية أيها النقيب ..  
إن مجرد ذكر اسمه قد يقودنا إلى استجواب أسوأ مما كان  
يفعله الجستابو .

١٩

سأله في دهشة :

— لماذا تبدو حذرًا إلى هذا الحد هذه المرة ؟

توقف ( أدهم ) فجأة ، واستدار إليها ، وقال في ضيق وحزم ، وبلهجة بطيئة قاسية :

— اسمع أيها النقيب .. إننا هنا في دولة تحرس أشد الحرص على مراقبة كل أجنبي يضع قدمه على أرضها ، واعتباره جاسوسًا إلى أن يثبت العكس ، بسبب حالة الاضطراب ، التي تمر بها ، ولقد أسبذت إلينا مهمة تعد غاية في الخطورة ، فلابد لنا من مقابلة رجل تبحث عنه مخابرات الجانب الشرق من العالم ، ومحاولة تهريبه إلى دولة أخرى ، ولسنا نملك إلا مهارتنا الشخصية .. لا أسلحة .. لا مسدسات .. ليس إلا تلك الكيماويات التي تختبئ في أدوات ( ميكياكل ) .. ولا تتصورى أن مخابرات ( ألمانيا الشرقية ) ستتركنا نفعل ذلك في هدوء .. إنهم لن يسمحوا بفقد هذا الملف الخطير .. وفي ظل كل هذه الظروف المعقدة لابد لنا من المبالغة في الحذر .. هل استعربت الأمر أو أكرره مرة أخرى ؟

أومات برأسها علامة الفهم في مزيج من الخوف والغضب ، فاعتدل وعاد إلى سيره ، قائلاً في هدوء مفاجئ .

— والآن هلمى ، فسنختصر الوقت ، ونذهب إليه مباشرة .

\*\*\*

قفز ( قون هملن ) من فراشه الصغير ، وانترع مسدسه الضخم من تحت الوسادة في توتر واضح ، حيناً سمع صوت ثلاث طرقات هادئة على باب الحجرة الصغيرة ، التي استأجرها في حي من أحياء ( وارسو ) البعيدة عن قلب المدينة ، واقرب في قلق من الباب ، وهو يقول في صوت أجش غليظ :

— من بالباب ؟

جاءته الإجابة باللغة الألمانية السليمة :

— أنا ( رمسيس ) .. لقد وصلت تؤاً بحسب الخططة ( هرم ) .

— دغنا من هذه السخافات يا ( هملن ) .. هل معك الأوراق ؟

ابتسم ( قون هملن ) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

— سؤالك هذا هو السخافة بعينها أيها المصري .. إنكم لن تحصلوا على الملف ، قبل أن أصل إلى القاهرة .

نظرت إليه ( منى ) في ضيق ، ولكنها لاذت بالصمت ، على حين ابتسم ( أدهم ) في سخرية ، وقال وهو يجلس في لامبالاة فوق طرف الفراش :

— إننا لن نخاطر بتهريبك ، ونحذى جهاز المخابرات الشرق بأكمله ، نحدد قول منك يا ( هملن ) .. لابد لي من التأكد من وجود الملف أولاً .

زبحر ( هملن ) ، وهو يقول في إصرار عجيب :

— أنا لست غيباً أيها المصري .. لابد أن أصل أولاً إلى القاهرة ، ولن أعطيكم أية ضمانات .. بل سأسلم هذا الملف إلى ( الموساد ) لو أنكم رفضتم .

هَبَّ ( أدهم ) واقفاً ، وقال في غضب :

تهدد ( قون هملن ) في ارتياح ، وفتح الباب وهو يختبئ خلفه في حذر ، دفعه إلى تصويب مسدسه إلى ( أدهم ) و ( منى ) ، حينما دخلا إلى الغرفة الصغيرة ، حتى أن ( أدهم ) ابتسم في سخرية قائلاً :

— أعذ مسدسك إلى غمده يا هر ( هملن ) .. إننا لا ننوي قتلك .

أغلق ( قون هملن ) باب الحجرة ، وأعاد مسدسه الضخم إلى الجراب المعلق تحت إبطه الأيسر ، وهو يتفحّس ملاحم ( أدهم ) و ( منى ) فترة طويلة ، قبل أن يقول :

— هل تأكدتما أن أحداً لا يتبعكما ؟

ابتسم ( أدهم ) ، وقال في هدوء :

— هل نسيت أننا أيضاً محترفون يا هر ( هملن ) ؟

اقرب ( قون هملن ) من ( أدهم ) ، وقال وهو ينظر في عينيه :

— حتى المحترفون يصيبهم الخطأ أيها المصري .

أشاح ( أدهم ) بذراعه في لامبالاة ، وقال :



— هل تهددنا أيها الوقح ؟

ضرب ( هملن ) الأرض بقدمه في غضب ، وقال :

— لك أن تتصور ما يجلو لك أيها المصري .. هذه

كلمتي الأخيرة .

التقت نظراتهما في تحدّ وعناد وإصرار ، وكاد الأمر

ينقلب إلى معركة ، لولا أن استعاد ( أدهم ) هدوءه ، فعقد

ساعديه ، وقال :

— إنك لا تتصور أن نفعل كل هذا دون دليل

يا ( هملن ) .

ابتسم ( فون هملن ) ، وقال في هدوء مماثل :

— وأنت لا تتصور أن أخطر بالقضاء نفسي بين

أيديكم ، ولّى عاصمتكم وأنا أهددكم .

صمت ( أدهم ) فترة . ساد فيها الصمت التام في

الغرفة ، ثم ابتسم وقال :

— أنت على حق .. سأقبل المخاطرة .

مدّ ( فون هملن ) كفه الكبيرة نحو ( أدهم ) ، وهو يقول :

— معذرة لاستقبال الحاذق .

صافحه ( أدهم ) ، وهو يقول :

— لا عليك .. إن الأعصاب الملتبها المتوترة ، تفعل

أكثر من ذلك .

استدار ( فون هملن ) إلى ( منى ) ، فحيّاها بإيماءة من

رأسه ، وهو يقول :

— مرحباً يا سيدي .. لقد ألهانا الشجار .

فتحت ( منى ) فمها لتطرق بعبارة مجاملة ، ولكنها لم

تجد الفرصة لذلك .. إذ تصاعد صوت طرقات قوية على

باب الحجرة ، فصاح ( فون هملن ) في جزع :

— أيها الغييان .. لقد تبعوكا إلى هنا .

قال ( أدهم ) في إصرار :

— إن أحداً لم يبعنا ..

وفي هذه اللحظة تعالى صوت الماني ، تشوبه اللكنة

الروسية يقول :

### ٣- الفأر القاتل ..

جذب ( فون هملن ) إبرة الأمان بمسدسه ، وسأل في

توتر :

— ماذا نفعل ...؟ هل نستسلم ؟

مطّ ( أدهم ) شفتيه ، وقال في هدوء :

— يا لها من فكرة سخيفة !!

عاد صوت الطرقات بصورة أعنف ، وارتفع الصوت

الألماني الروسي ، يقول في لهجة شديدة ، لا تقبل الشك :

— سمعنا حتى ثلاثة ، ثم نطلق النار من كل الاتجاهات

يا ( فون هملن ) .

وفجأة .. ولدهشة ( هملن ) و ( منى ) ، ارتفع

صوت ( أدهم ) عالياً بلغة ألمانية سليمة ، ولكنة شرقية

واضحة ، يقول :

— بأستسلم يا سيدي .. ولكنني لست ( فون

هملن ) هذا .

— افتح الباب يا ( فون هملن ) .. لقد وقعت في

أيدينا .. لا تحاول الهرب ، فالفسدق محاصر من كل

الاتجاهات .

شحب وجه ( منى ) ، وارتدّ وجه ( فون هملن ) ،

على حين ابتسم ( أدهم صبرى ) في سخرية ، وهو يقول في

هدوء :

— يبدو أننا لن نحتاج إلى التأكد من وجود الملف يا هرّ

( هملن ) .. فقد انتهت مهمتنا قبل أن تبدأ .

\*\*\*



ثم التفت إلى ( هملن ) وسأله :

— أى اسم انتحلته لاستتجار هذه الغرفة ؟

أجاب ( هملن ) الذى لم تتلاشى دهشته بعد :

— ( هانز فريدريش ) .

أشار ( أدهم ) إلى صوان متوسط الحجم فى ركن

الغرفة ، وقال فى عجلة وهو يخلع معطفه :

— هيا بسرعة .. اختبأ هناك .

أسرع ( هملن ) و ( منى ) لإطاعة الأمر . وقال الأول

فى توتر ، وبصوت هامس :

— ليست هناك فرصة .. سيقتلونك .

هزّ ( أدهم ) كفيه فى لامبالاة ، وابتم فى سخرية ،

ثم أسرع يرسم على وجهه علامات خوف مفتعل ، وهو يفتح باب الغرفة .

\*\*\*

كان أول ما طالع ( أدهم ) ، وجه يشبه ( وجه

الفأر ) ، نحيل طويل ، وأسنان أمامية كبيرة بارزة ، وأذنان

كبيرتان ، وعينان زرقاوان ، وشعر أشقر ناعم ، ومن

خلفه ظهر أربعة رجال مسلحين بالمدافع الرشاشة ، وكان

( وجه الفأر ) يحمل مسدسًا ضخماً من نوع ( الموريس ) ،

ذى الساقية الدوّارة ، واتسعت عيناه فى دهشة صادقة ،

وهو يتحدّق فى وجه ( أدهم ) ، قبل أن يغمغم فى غضب :

— من أنت ؟ .. أنت لست ( فون هملن ) !!

قال ( أدهم ) فى صوت حرص على أن يخرج من بين

شفته مرتعداً خائفاً :

— هذا ما قلته يا هرّ .. أنا لست ( فون هملن ) .

جذب ( وجه الفأر ) ( أدهم ) من معطفه فى قسوة ،

وقال :

— أين هو ؟ .. أين الخفى ؟

أشار ( أدهم ) إلى الصّوان ، وقال هامساً :

— إنه يختبئ هناك يا هرّ ..

نظر ( وجه الفأر ) إلى الصّوان فى شكّ وحذر ، ثم

مرّ يديه على جسد ( أدهم ) فى سرعة وخبرة ، وتأكد من

أنه لا يحمل سلاحاً ، ثم همس فى زمجرة خافتة :

— لا أظنه بهذا الغباء .

همس ( أدهم ) متظاهراً بالخوف والخضوع :

— أقسم لك أنه هنا يا هرّ .. هل تتصوّر أن أكذب

عليك ، وأنا بين يدي رجالك ؟

قطّب ( وجه الفأر ) حاجبيه ، ودفع ( أدهم )

جانباً ، ثم استدار نحو الصّوان ، وصوّب رجاله مدافعهم

الرشاشة إليه ، على حين ارتفع صوته قائلاً :

— لقد انكشف أمرك يا ( فون هملن ) .. اخرج من

هذا الصّوان ، أو أحوّلك وإياه إلى مصفاة .

ولكنه ارتحف حينما سمع صوت ( أدهم ) الساخر

يقول :

— هل صدّقت هذا يا ( وجه الفأر ) الغبى ؟

\*\*\*

استدار ( وجه الفأر ) فى غضب ، لم يلبث أن تحوّل

إلى ذهول ، حينما وقع بصره على ( أدهم ) ، وهو يعمل فى

سرعته ومبادرته المعهودة المذهلة ...

من العجيب فيما يخص ( أدهم صبرى ) ، أنه قادر

على السيطرة على أطرافه الأربعة فى آن واحد ، وتحريكها فى

تناسق عجيب ، بحيث يساوى وحده أربعة رجال أشداء ..

ففى الثانية الأولى لتحركه ارتفعت قدماه ، لتركلا مدفعين

رشاشين ، فى نفس اللحظة التى تحركت فيها قبضته ،

فهشمت اليمنى فكّ أحد الرجال الأربعة ، وحطمت اليسرى

أنف الثانى ، ولكنه ما كاد يهبط على قدميه ، حتى التوت

قدمه اليسرى تحت ثقله ، إذ كان قد نسى فى غمرة حماسه

أنها مصابة برصاصة منذ أمد قريب ، ولقد شعر هو بالآلام

المبرحة ، ولكن الآخرين لم يلاحظوا ذلك ، إذ عادت

قبضته تتحركان لتبهطا على أنف الرجل الثالث ، وعنق

الرابع .. وحينما تحامل على ساقه المصابة ، واستعاد توازنه ،

كان الرجال الأربعة قد فقدوا الوعي ، ولم يبق أمامه سوى

( وجه الفأر ) .. وتلقّب هذا الأخير على ذهوله بسرعة ،

ورفع مسدسه الضخم فى وجه ( أدهم ) ، ولكنه تلقّى

ضربة قوية من حافة يد ( أدهم ) ، طار لها المسدس بعيداً ،



وقبل أن يفتح فمه في طلب النجدة ، تحطّم أنفه الطويل ،  
إلى لكمة ساحقة ، ألقت به في غيبوبة طويلة ..

وقبل أن يستقر جسد ( وجه القار ) على أرضية  
الغرفة ، كان ( أدهم ) قد قفز نحو الصّوّان ، وفتحها  
قائلاً :

— هيا بنا .. لا بدّ من مغادرة المكان بأقصى سرعة  
ممكنة .

خرج ( فون هملن ) من الصّوّان في ذهول ، وهو يحذق  
في الأجساد المبعثرة على أرض الغرفة ، وكانت ( منى ) تقفز  
خارجة ، حينما سمعته يغمغم مذهولاً :

— أفعلت كل هذا دون سلاح ؟!

قال ( أدهم ) ، وهو يتحرك في سرعة :

— فلنزول هذا الحديث إلى ما بعد يا ( هملن ) ،  
أثبات الآن فأسرع إلى أعلى المنزل .. هذه هي فرصتنا  
الوحيدة .

تبعه ( فون هملن ) ، وتبعته ( منى ) غلّوا إلى أعلى  
السّلم ، على حين قال ( هملن ) :

— ربما كانوا يضعون حراسة مكثفة فوق السطوح .

توقّف ( أدهم ) أمام الباب المفضى إلى السطح ،  
وأخذ يعالجه في سرعة ومهارة وهو يقول :

— كلاً يا ( هملن ) .. إنهم لن يفعلوا هذا ، فلن يتصوّروا  
مطلقاً أن تنجح في التغلّب على خمسة رجال مسلّحين ..  
ربّما وضعوا هذه الحراسة في الخارج ، خشية أن تلجأ للفرار  
من النافذة .

ومع آخر كلماته انفتح القفل ، واندفع الثلاثة إلى  
السطح ، وأشار ( أدهم ) إلى سطح المنزل المجاور قائلاً :

— سنقفز غيّر الأسطح إلى الشارع الخلفي ، ثم نسرع  
بالهرب .  
ودون تردّد ، أسرع ( هملن ) إلى حافة السطح ، وقفز  
قفزة غيّر بها الأمتار الثلاثة التي تفصل سطح المنزل عن  
المنزل المقابل ، ليستقر في رشاقة على السطح المقابل ،

وتبعته ( منى ) ، ثم ( أدهم ) ، الذي شعر بألم شديد  
حينما استقر فوق السطح ، بسبب ساقه المصابة ، ولكنه  
واصل مع رفيقه القفز من منزل إلى آخر ، حتى ابتعدوا  
بالقدر الكافي ، فجلست ( منى ) على حافة السطح  
الأخير تلهث ، على حين غمغم ( فون هملن ) :

— كيف توصّلوا إلينا يا ثرى ؟

قال ( أدهم ) :

— إنهم لم يتبعونا بالتأكيد ، وإلا كنت قد لاحظت  
ذلك ، ثم إنه ما من سبب يدعوهم للشك فيما .. ربّما  
قادتهم تحريّياتهم إليك !

مطّ ( هملن ) شفّيه ، وقال :

— لن يدهشني ذلك ، فأنا أعلم كيف أن ( فولف  
جانج ) هذا شيطان قاتل .

سأله ( أدهم ) :

— من ( فولف جانج ) هذا ؟

قال ( هاملن ) في هدوء :

— إنه ذلك الرجل الذي يحمل ( وجه القار ) .. إنه  
زميل سابق في مخابرات ( ألمانيا الشرقية ) ، وكنا نطلق عليه  
هناك اسم ( الماسمستر ) ، وهو حيوان شبيه بالقار ، ينتشر  
وجوده في غابات ( ألمانيا ) ، ويسعد الأطفال ببريقه  
كحيوان أليف ، وهذا بخلاف طبيعة ( فولف ) تماماً ، فهو  
من أشرس وأقوى من عرفت في حياتي كلها .. إنه يعذب  
خصومه دون أن يطرّف له رمش .

قال ( أدهم ) في سخرية :

— ألا يدرك هذا مجازيك في الجستابو ؟

صمت ( هملن ) لحظة ، ثم قال في برود ، متجاهلاً  
عبارة ( أدهم ) :

— والآن ماذا نفعل ؟

هزّ ( أدهم ) كتفيه ، وقال :

— لست أدري .. ربما كان علينا أن نفكّر معاً في  
خطّة مناسبة .

ضاعت عينا ( هملن ) وهو يقول :

#### ٤ — مطاردة الموت ..

زيجر ( فولف جايج ) في مزيج من الألم والغضب ، حينما أخذ طبيب الشرطة البولندية يضمّد جروحه ، ونظر إليه مدير الشرطة في ضيق ، وقال :

— سبق أن طلبت منك أن تترك هذه المهمة لنا يا هيزر ( فولف ) .

زوى ( فولف ) ما بين حاجبيه ، وقال :  
— إن كبار دولنا قد اتفقوا على أن نتولى نحن الأمر يا ( كالسكى ) .

زفر ( كالسكى ) في حق ، وقال وهو يشيح بوجهه بعيدا ، مداريا ما يبدو عليه من غضب واشتزاز :

— ولكنك لا تعرف ظروف وأساليب دولنا ، كما نعرفها يا هيزر ( فولف ) .

مطّ ( فولف ) شفّيه في غطرسة ، وهو يقول :

— عليك أن تسرع في التفكير إذن ، فإن ( فولف جايج ) لن يبدأ قبل أن ينشب فينا نخاله ، ويمرّقا إرنا ..  
لقد أصبحنا مطاردين من ( وجه القار ) القاتل أيها المصري .

\*\*\*



فلا ريب أن هذا الشيطان الذى يساعده من مخابرات ( ألمانيا الغربية ) .

سأله ( كالسكى ) في دهشة :

— ولكنك قلت إن لهجته كانت تحمل بعض الروسية و ....

قاطعه ( فولف ) في غضب :

— إن المخابرات الروسية لن تعمل ضد أصدقائنا ورجالها الشرقيين .

ازدرد ( كالسكى ) لعابه ، وقال في صوت أقرب إلى الحمس :

— بالطبع يا هيزر ( فولف ) .. بالطبع .. ولكن أين تتوقع أن يذهب ( تون هملن ) ، بمساعدة هذا الألمانى الغربى ؟

ابتسم ( فولف ) في خبث وشراسة ، وهو يخرج من جيب معطفه خريطة ضخمة تثقل ( بولندا ) ، فردها أمامه فوق المكتب ، وأشار بأصابعه قائلا :

— من قال هذا ؟ .. هل نسيت أنني المكلف بشئون ( بولندا ) في مخابراتنا يا ( كالسكى ) .

قال ( كالسكى ) :

— لم أئس ذلك يا هيزر ...

وضغط بقسوة على حروف كلمة ( هيزر ) ، علّ ( فولف ) ينتبه إلى أنه يخاطبه باسمه مجردا منذ البداية ، ثم

استطرد :

— ولكن ( تون هملن ) ....

قاطعه ( فولف ) في غضب :

— لقد هرب ( تون هملن ) بمساعدة ألماني آخر ، يتحرك كالشيطان في سرعته ومهارته .. ولا تفس أنه تغلب وحده ودون سلاح على أربعة من أشد رجالك ، كانوا يحملون المدافع الرشاشة .

شعر ( كالسكى ) بالخرج ، حتى أنه لم يجد ما يقوله ، على حين استطرد ( فولف ) في لهجة أصغ عليها الأهمية :  
— ثم إننى أعلم إلى أين سيرجّه ( تون هملن ) ،



— إن ( فون هملن ) ، كان يتخفى هنا في ( وارسو ) ، كما علمنا من تحرياتنا عن المستأجرين ، ولقد علم الآن أن أمره قد كُفِّف ، كيف يتصرف بعد ذلك ؟  
هز ( كالكسكى ) كفيه دلالة على عدم المعرفة ، فاستطرد ( فولف ) في ثقة :

— سيعلم جيدًا أن بقاءه في ( وارسو ) قد أصبح مستحيلًا ، ولذا فسيحمد هو ومساعدته إلى الفرار خارج المدينة .. ولكن إلى أين ؟.. لو أنني مكانه لن أحاول الاتجاه إلى ( بياوستوك ) في الشرق مثلاً ، وإلا كان على العبور إلى ( الاتحاد السوفيتي ) ، حيث سيعقلوننى حتمًا ، ولا إلى ( كراكو ) في الجنوب بقرب ( تشيكوسلوفاكيا ) ، ولا ( بوذن ) على حدود ألمانيا الديمقراطية ) ، فكل هذه البلاد على علاقة وثيقة ( ببولندا ) ، والأخيرة منها هي البلد التي هرب فيها بالفعل .  
وابتسم في مزيج من الثقة والعطسة الألمانية ، وهو يردف :

— ليس أمامه إذن إلا ( جدانسك ) على البحر البلطي ، حيث يمكنه الفرار بعد سرقة زورق أو قارب بخارى ، وبمجرد عبوره المياه الإقليمية لن يمكننا إيقافه .  
حرك ( كالكسكى ) رأسه قائلاً :  
— يا إلهي ! هذا صحيح .. إن استعاجك رائع يا هز ( فولف ) .. وماذا علينا أن نفعل إذن ؟ ..  
ابتسم ( فولف ) ، ووضع سباته على الخريطة قائلاً :  
— نشدد الحراسة على ( جدانسك ) يا هز ( كالكسكى ) .

\*\*\*

تألفت عينا ( فون هملن ) ، وهو ينظر إلى ( أدهم ) قائلاً :  
— لحظة رائعة أيها المصري .. نعم .. إن ( جدانسك ) هي أفضل الأماكن .  
قال ( أدهم ) في هدوء :  
— ليس ( جدانسك ) نفسها على وجه الدقة يا ( هملن ) ، ولكن على بعد ثلاثة كيلومترات إلى غربها .

زوى ( هملن ) ما بين حاجبيه ، وقال :  
— ثلاثة كيلومترات إلى غربها !!!  
اتسعت عيناه فجأة في دهشة ، وهو يقول محذفاً في وجه ( أدهم ) :  
— يا للشيطان !! هل تقصد قاعدة حلف ( وارسو ) العسكرية ؟  
ابتسم ( أدهم ) ، وهو يومئ برأسه قائلاً :  
— بالضبط يا ( هملن ) .. إننا نحتاج إلى زورق قوى للهرب .. أليس كذلك ؟  
قالت ( منى ) في حدة :  
— يمكننا أن نحصل عليه دون أن ننظر إلى مواجهة قاعدة عسكرية بأكملها يا سيادة العقيد .  
ابتسم ( أدهم ) في خبث ، وقال :  
— ومن قال إننا سنواجه القاعدة ؟ .. سيمتحوننا هم الزورق بأنفسهم .  
سأله ( هملن ) في دهشة :

— وكيف ستوصل إلى هذا ؟  
ضحك ( أدهم ) وقال :  
— سأخبرك بذلك في الطريق يا عزيزي ( هملن ) .. المهم الآن كيف نصل إلى ( جدانسك ) ؟  
قال ( هملن ) في حماس :  
— يمكننا أن أوفر سيارة خاصة .  
وقالت ( منى ) :  
— أعقد أنه من الأفضل أن نستقل حافلة عامة ، لنلا نثير الشكوك .  
قال ( أدهم ) في سخرية :  
— أئمة شكوك يا عزيزي ؟ .. ألا تعملين حقيبة أدوات ميكياجك ؟  
قالت في تساؤل :  
— بلى ، ولكن فيم تقيديننا ؟

ابتسم وهو يقول :

— ستفيدنا في أن نستقل سيارة خاصة ، ونطلق إلى  
( جدانسك ) يا عزيزى .. وهناك يبدأ الجزء الصعب من  
الرحلة .

\*\*\*



## ٥ - الطريق إلى النيران ..

ضغط ( أدهم صبرى ) على دواسة الوقود في السيارة  
الصغيرة ، دون أن ييم بالنظر إلى عداد السرعة ، الذى  
أشار إلى تجاوزها المائة والعشرين كيلومتراً ، على حين اختلس  
( ثون هملن ) النظر إلى مرآة السيارة ، وهو يتحسس القناع  
المطاطى الرقيق للغاية ، الذى يغطى وجهه ، ثم غمغم في  
صوت تحالطه الدهشة :

— عجباً !! أكاد لا أعرف نفسى في هذه الملاحه .

ثم استدار يتطلع إلى ( أدهم ) ، مبسترداً في  
إعجاب :

— أنت عبقرى في تبديل الملاحه البشرية أيها المصرى .

ابتسمت ( منى ) التى تجلس على المقعد الخلفى ،  
وقالت في هدوء :

— هذا جزء ضئيل من قدراته يا هجر ( هملن ) .

فجأة ، وهو يشير أمامه قائلاً :

— هناك الكثير من الأضواء على بعد خمسة  
كيلومترات .. أعقد أنها نقطة مراقبة .

حدّق ( ثون هملن ) و ( منى ) في الأضواء التى تقترب  
منها السيارة ، وقال ( هملن ) :

— خفف من سرعتك أيها المصرى .. لعلها نوبة مراقبة  
الطريق .

رفع ( أدهم ) قدمه عن دواسة الوقود ، وضغط بها على  
الفرامل وهو يقول :

— لست أدرى لِمَ أشعر بالخطر .

وفجأة لاحظ لهم الدورية .. كان هناك عدد كبير من  
رجال الشرطة العسكرية بمدافعهم الرشاشة ، وعدد من  
الضباط ، وهم يغلّقون الطريق بمجال خشى رفيع ، تعلّق  
عليه الأضواء الملوّنة ، وزوى ( أدهم ) ما بين حاجبيه ،  
على حين غمغم ( ثون هملن ) :

— قِفْ في هدوء ، فقد فات أوان التراجع . وليس من  
المفضل أن نثير شكوكهم .

التفت ( ثون هملن ) إلى ( أدهم ) ، وأخذ يتفرّس  
ملاحه في ضوء السيارة الخافت ، ولم يلبث أن قال :  
— عجباً .. إن ملفات المخابرات الألمانية كانت تضم  
صورة ووصفاً لضابط مخابرات مصرى ، يمتلك هذه القدرات  
غير المألوفة ، ولكنه لقي حتفه ، ولولا ذلك لظننت ....

ابتسم ( أدهم ) ، وسأله متجاهلاً حديثه :

— هل مسدسك مخبئ بالرصاصة يا ( هملن ) ؟

تحسّس ( هملن ) مسدسه المختفى تحت معطفه ، وقال :

— نعم .. إنه مستعد للإطلاق في أيّة لحظة .

غمغمت ( منى ) في قلبي :

— آمل ألا تدفعنا الظروف إلى ذلك .

ابتسم ( أدهم ) في سخرية ، وقال :

— إنه السلاح الوحيد الذى تمتلكه يا عزيزى .

ضحك ( ثون هملن ) ، وقال في سخرية :

— وهل ستحارب حلف ( وارسو ) بمسدس واحد ؟

ضحك ( أدهم ) دون أن يجيب ، ثم تمهّمت ملاحه



أوقف ( أدهم ) السيارة بهدوء ، وهو يحاول تَئِينَ ملاح رجال الدورية ، غَير الضوء المير الذى يضىء نحوه دون فائدة ، ولكنه لمح أحدهم ينفصل عن الباقي ، ويتبعه جندِيَّان يحملان المدافع الرشاشة ، ثم رآه يقترب من السيارة ، وينحن لينظر داخلها قائلاً :

— أوراقلك من فضلك .

كان ( أدهم ) قد استعمل هذا الموقف ، واستخرج أوراقلًا مزيفةً ، ولكنه لم يقدمها إلى الرجل ، فلقد اتسعت عيناه (قون هلمان) دهشةً ، على مسمع صوته ، وشهقت ( منى ) شهقة خافتة من المقعد الخلفى ، وابتسم ( أدهم ) فى سخرية ، فقد طالعوه وجه الرجل الذى يشبه ملاح القار ، ولم يكن ( أدهم ) قد غَير ملاحه ، لذا فقد تراجع ( فولف جانج ) فى دهشة ، وصاح :

— يا للشيطان !! أهم أنتم ؟

\*\*\*

لو أن بطلاً من أبطال سباقات السيارات ، شاهد

ما فعله ( أدهم ) فى هذه اللحظة ، لشهق إعجابًا ، والتبت كفضاء تصفيقًا ، ولَوَدَّ من كل قلبه أن يعانق ( أدهم ) ، ويشدُّ على يده مهتئًا ، إذ أنه قد تحوَّك فى سرعة البرق ، مُجَبِّرًا محرك السيارة على الإستجابة والطاعة ، حينما حوَّك عصا السرعة إلى الوضع الرابع ، ثم ضغطت قدماء على دوَّاسِى الكبح والوقود ، ورفع قدمه اليسرى ، لتتطلق السيارة الصغيرة فى صرير مزعج ، وشكل مخيف ، أثار ذهول رجال الشرطة ، حيث تراجع ( فولف جانج ) فى حدة ، ورفع البعض فؤهات مدافعهم الرشاشة ، ولكن سيارة ( أدهم ) اندفعت نحو الحائل الخشبي ، وصاح هو بزميلته ومرافقه :

— اخفضا رأسيكما ..

وفى جرة مذهلة وهدوء خرافى ، ارتطم بالحائل معطماً إيَّاه ، ومتجاوزاً له فى سرعة ومهارة ، فى الطريق الأسفلتى العريض ..

صرخ ( فولف ) فى غيظ :

— أطلقوا النار .. اقتلوهم جميعاً .

وقيل أن يتم عبارته ، كانت المدافع الرشاشة تتطلق فى سيمفونية مرعبة مزعجة خلف السيارة الصغيرة ، التى تحطَّم زجاجها الخلفى ، ومزقت أكثر من رصاصة بجوار أذنى ( أدهم ) فى صفير مخيف .. ولكن ( أدهم صبرى ) صاحب الأعصاب القولاذية لم يهتز له رمش ، واكتفى بابتسامة ساخرة ، وهو يطلق بالسيارة فى مهارة رائعة مغمغمًا :

— معذرة يا (وجه القار) .. ليس لدى وقت للتوقف .

وهمس (قون هلمان) فى دهشة ، محدثًا ( منى ) :

— أخبريني أيها المصرية .. أزميلك مجنون ، أم أنه لحيلق دون أعصاب على الإطلاق ؟

ابتسمت ( منى ) ، واختلست نظرة إعجاب إلى ( أدهم ) ، وهى تحيب :

— لا هذا ولا ذاك يا هِرْ ( هلمان ) .. كل ما فى الأمر

أنه ضابط مخابرات يحب وطنه مصر .

وفى تلك اللحظة صاح ( فولف ) فى رجاله :

— أسرعوا خلفهم .. لا تسمحوا لهم بالإفلات .

وقفز داخل سيارة اندفعت به خلف سيارة ( أدهم ) ، وانطلقت خلفه مجموعة من الدراجات البخارية فى مطاردة مستميتة ...

ونفض (قون هلمان) ، وقبض على مسدسه فى توتر قائلاً :

— لقد انهارت خطة الحرب .. ماذا سنفعل الآن ؟

نظر ( أدهم ) إلى مرآة السيارة ، وشاهد الدراجات البخارية التى تطاردهم ، وسيارة ( فولف جانج ) ، ثم قال لـ (قون هلمان) :

— هل لديك خريطة لطرق ( بولندا ) ؟

مدَّ (قون هلمان) يده إلى جيب معطفه الداخلى ، وأخرج خريطة مطوية ، وهو يقول :

— بالطبع .. إنها أحدث خريطة للبلاد .

قال ( أدهم ) وهو يضغط دؤاسة الوقود ، مجبراً  
السيارة الصغيرة على الإنطلاق بسرعة تتجاوز قدراتها :  
— ألقى نظرة سريعة وأخبرنى .. هل هناك طرق فرعية  
إلى ( جدانسك ) ؟

فرد ( ثون هملن ) الخريطة ، وفحصها في هفة وقلق ،  
ثم قال :  
— هناك طريق واحد . ولكنه مغلق بسبب انهيار  
الجسر الذى يتوسطه ..

تألفت عينا ( أدهم ) وهو يسأله :

— هل تعلم كم يبلغ طول هذا الجسر النهار ؟

حك ( ثون هملن ) أنفه في توثر ، وقال :

— حوالى خمسة أمتار .. إنه جسر قديم و ....

قاطعه ( أدهم ) في عجلة :

— كم يبعد عنا هذا الطريق ؟

قال ( ثون هملن ) ، وهو يلقي نظرة على علامات  
الطريق :

— حوالى عشرة كيلومترات .

ابسم ( أدهم ) ، وقال :

— حسناً يا هر ( هملن ) .. أعقد أننا سننجو .

سأله ( هملن ) في دهشة :

— كيف ؟

ابسمت ( منى ) في توثر ، وهى تحيب :

— أَلَمْ تفهم بعد يا هر ( هملن ) ؟ .. إن سيادة العقيد

ينوى اجتياز هذا الجسر الخطم ..

و في تلك اللحظة ، كان ( فولف جانج ) يصرخ في قائد  
سيارته :

— أسرع أيها الرجل .. لا تدعهم يفلتون .

قال قائد السيارة في قلق :

— إننى أنطلق بالسرعة القصوى يا سيدي ، لو

حاولت الإسراع ، فسيفر المحرك من السيارة معترضاً .

عض ( فولف ) شفته غيظاً ، وقال في غضب :

— وهؤلاء الجنود الحمقى على الدراجات البخارية ..

لِم لا يطلقون النار ؟

قال ( فولف ) في مكر :

— حسناً أيها السائق .. خفف من سرعتك . ولكن

لا تدعهم يلحظون ذلك .

ثم قهقه ضاحكاً في وحشية ، قبل أن يستطرد :

— دغهم يندفعون نحو هاوية الموت .

\*\*\*

زاد ( أدهم ) من سرعة السيارة ، حتى كاد المحرك

يحترق ، وصاح ( ثون هملن ) :

— لن يمكنك عبور الهاوية .. لن تحمل السيارة .

قالت ( منى ) ، وقد بلغ توثرها مبلغه :

— لا تحاول يا هر ( هملن ) .. إنه لن يتراجع .

لمح ( ثون هملن ) بداية الجسر الخطم على ضوء

السيارة ، فصرخ وهو يتشبث بمقعده :

— لا .. لا تقدم على هذه الحماقة أيها المصرى ..

توقف .

أجابه السائق في تردد :

— لأننا نتعلق أمامهم يا سيدي .

غمغم ( فولف ) في حق :

— يا للجنة !!

وفي تلك اللحظة ، انصرف ( أدهم ) بسيارته في جدّة

داخل الطريق القرعى ، فصرخ ( فولف ) :

— إنه يحاول الهرب .. أسرع خلفه أيها السائق .

أطاع السائق الأمر ، وهو يقول في قلق :

— ولكن هذا الطريق مغلق ، بسبب جسر منهار على

بعد عشرة كيلومترات يا سيدي .

تألفت عينا ( فولف ) في شراسة ، وهو يقول :

— ماذا نقول ؟! .. هل تعنى أن سيارتهم تتعلق نحو

هاوية وهم لا يدرون ؟

قال السائق وقد ازداد توثره :

— لا بد من ذلك يا سيدي ، فهم في سرعة عظيمة ،

ولن يمكنهم التوقف ، والهاوية يبلغ عمقها كيلومتراً كاملاً .



اتسم ( أدهم ) في سخرية ، وتعلقت عيناه بالجسر  
الخطم ، وهو يزيد من ضغطه على دؤاسة الوقود ، قائلاً في  
هدوء مذهل :

— لقد سبق السيف العزل يا هر ( هملن ) .. احبس  
أنفاسك ، وتثبت بمقعديك .

لم يكن ( أدهم ) في حاجة إلى قول هذه النصيحة ، فقد  
تثبت ( فون هملن ) ، وتثبت ( منى ) بمقعديهما ،  
واحسنت أنفاسهما بالفعل ، عندما اندفعت السيارة  
الصغيرة بمجازة الطرف الخطم ، ساجدة في الهواء فوق هوة  
يبلغ عمقها كيلومتراً كاملاً .



## ٦ — القفز فوق الخطر ..

أوقف سائق ( فولف جانج ) سيارته في قوة وحدة ،  
وتدلت فكّه السفلى في بلاهة ، واتسعت عيناه وعينا  
( فولف ) ذهولاً ، حيناً شقت سيارة ( أدهم ) طريقها نحو  
الجانب الآخر من الهوة السحيقة ، وتوقفت الدراجات  
البخارية كلها ، وتعلقت عيون قوادها بالسيارة الصغيرة ،  
التي هبطت على الجانب الآخر ، وارتطمت به في قوة  
حطمت محورها ، وقسمتها نصفين ، رَحَقاً أرضاً مسافة  
تعدى الأمتار الخمسة قبل أن يتوقفا ، وغطت ( منى )  
وجهها بكففيها ، وأجهشت بالبكاء ، على حين خرج  
( فون هملن ) ، ووقف يتطلع إلى السيارة في ذهول ، وقفز  
( أدهم ) في رشاقة ، وعاون ( منى ) على الخروج قائلاً في  
دُعابة :

— ها قد عبرنا الهوة يا هر ( هملن ) .

انفجرت ( منى ) صارخة :

— وفقدنا وسيلة المواصلات التي نملكها .. كيف  
نصل إلى هدفنا إذن ؟

نظر إليها ( أدهم ) نظرة عجيبة أدهشتها ، ثم فوجئت  
به باندفع نحوها ، ويدفعها أرضاً ، في نفس اللحظة التي  
انطلقت فيها رصاصات رجال الشرطة البولندية من الجانب  
الآخر .

وأفاق ( فون هملن ) من ذهوله ، وبدأ ييادلهم إطلاق  
النار ، فصاح به ( أدهم ) :

— اذخر ذخيرتك يا ( هملن ) ، وهياً بنا نسرع

بالابتعاد عن هنا .

وجذب ( منى ) من معصمها ، ثم اندفع يعدو وهو  
يمزحها خلفه ، مبتعداً عن الهوة ، وعن رصاصات  
البولنديين التي انهمرت كالطرر ، وحين دفع ( منى ) خلف  
أكمة من الأشجار المتشابكة ، سمع صوت أهة مكعومة من  
( هملن ) ، فاستدار إليه صائحاً :

— ماذا حدث يا ( هملن ) ؟

أجابه ( فون هملن ) ، وهو يسرع نحوه تمسكاً ساقه :

— لقد أصابني هؤلاء الأوغاد ..

زوى ( أدهم ) ما بين حاجبيه ، وقال :

— تحامل حتى تخفض وسط هذه الغابة ، وبعدها  
فليكن ما يكون .

وعلى الجانب الآخر صرخ ( فولف ) في الرجال :

— سيحاولون الاختفاء وسط الغابة .. أسرعوا بطلب

زملاتكم على الجانب الآخر .. اطلبوا منهم محاصرة الغابة ..

هياً .. بسرعة .

\*\*\*

انهمكت ( منى ) في محاولة إيقاف النزيف المنهمر من  
ساق ( فون هملن ) المصابة ، ولم تلبث أن شعرت ببوادر  
النجاح ، فأخذت تُخكّم الرباط حول الجرح ، على حين  
ضغط ( هملن ) على أسنانه ، خشية أن تفلت آهات الألم  
من بين شفتيه .. وعلى بعد أمتار قليلة جلس ( أدهم )

مستدا إلى جذع شجرة ضخمة، وهو يراجع الخريطة الضخمة التي تحمل (بولندا)، في اهتمام وصمت كاملين، وعندما انتهت (منى) من تضميد جراح (هملن)، اتجهت إليه وهي تضع يديها في جيبي معطفها، وجلس إلى جواره، وسأله:

— هل وجدت المخرج؟

ابتسم في شرود وهو يهز رأسه نفياً، ثم قال:

— لقد ضربوا حولنا حصاراً قوياً، فجانبي هذا الطريق أكثر وعورة مما يمكن اجتيازه، ثم إنهما لن يقودانا إلى أية خطوة ناجحة، ولقد ترك (وجه القنار) بعض رجاله لحراسة الجانب الآخر من الهوة، أما الجزء الذي نحن فيه فيقود إلى (جيدالسك) مباشرة، ولكنهم ولا شك ينتظروننا هناك، بل يتجهون إلينا أيضاً.

تهددت (منى) وهي تقول في قلق:

— هل فشلنا إذن؟

طوى (أدهم) الخريطة، ودسها في جيب معطفه،

وهو يقول:

— هناك مخرج واحد، ولكنه ....

وصمت، فاستحثته (منى) على إكمال عبارته، وهنا نظر إليها لحظة، ثم قال في هدوء:

— ولكن هذا المخرج يحتاج إليك يا عزيزتي.

اتسعت عيناها دهشة لحظة، ثم لم تلبث أن برقنا ببريق عزم، وهي تقول:

— لا بأس يا (أدهم) .. أنا على استعداد للتضحية بحياتي من أجلك .. أقصد من أجل نجاح المهمة.

ابتسم وهو يقول:

— أقتنى ألا يصل الأمر إلى ذلك يا عزيزتي .. اقترني وسأخبرك بخطتي.

\*\*\*

أضاء (فولف جانج) مصباحي السيارة الضخمة، التي يقودها بنفسه، بحيث يمكنه رؤية كل شيء بالطريق، بعد أن اضطر للدوران حول الهوة بأكملها، ليصل إلى الجانب الذي هبط فيه (أدهم) بسيارته، وزجر وهو يقول في غضب، محدثاً الرجل الذي يجلس إلى جواره:

٦١

— لن يفلتوا منا .. لقد حاصرناهم تماماً.

أدار رقبته رأسه، ليلقي نظرة على السيارات الخمس المليئة برجال الشرطة المسلحين التي تتبعهم، ثم قال في ضيق:

— نعم يا هرّ (فولف) .. ستمكّن الشرطة البولندية من إمساكهم.

نظر إليه (فولف) في استعلاء، وقال:

— نعم أيها الرفيق .. سيعاونوني على الإمساك بهم.

ثم صاح فجأة، وهو يحذق في الطريق:

— يا إلهي!! انظر هناك .. هذه الفتاة.

ثم أوقف السيارة إلى جوار (منى) تماماً، وقفز وهو يخرج مسدسه، ويقترّب منها قليلاً في قسوة متوارية:

— أي شيطان أتى بك إلى هذا الطريق المهجور

يا جيليتي؟

تظاهرت (منى) بارتياح، وهي تسرع نحوه صائحة بالإنجليزية:

— حمداً لله .. أنتم رجال شرطة .. أليس كذلك؟ ..

أنقذوني من هؤلاء الوحوش الثلاثة الذين يتبعونني ..

التقى حاجبا (فولف) في مزيج من الشك والدهشة، وهو يتساءل بالإنجليزية:

— أية وحوش؟ .. هل تمزحين يا فتاة؟

لوّحت بكفها في رعب أجادات تشيله، وهي تصيح:

— مطلقاً يا سيدي .. إنهم ثلاثة رجال، اسولوا على

سيارتي ونقودي .. أريد أن أقدم بشكوى.

أمسك (فولف) معصمها في قسوة انتها، وهو يسألها

في حدة:

— من أنت أولاً أينما الإنجليزية؟ وكيف وصلت إلى

هذا الطريق شبه المهجور؟

تأوّهت (منى) في ألم، وقالت:

— أنا (لندا آرثر) سائحة إنجليزية، ولقد أخطأت

الطريق، ووجدت نفسي أمام ثلاثة رجال: أحدهم عجوز في

الستين يبدو مخيفاً، ولقد اسولوا على سيارتي ونقودي و ....

٦٢

٦٢



برقت عينا ( فولف ) ، وهو يسألها :

— أين تركتكم يا سيدتي ؟

قالت ( منى ) :

— لقد سمعتهم يقولون إنهم سيحاولون القفز عبر

الهُوة .. لا بد أنهم مجانين .

ترك ( فولف ) معصمها ، وأسرع نحو السيارة

صالحا :

— فلتسرع إلى نهاية الطريق .. لا بد أن نلتحق بهم .

انطلقت سيارة ( فولف ) وسط السيارات الخمس

الأخرى في سرعة ، حتى أنهم نسا أن يحملوا معهم

( منى ) ، التي ابتسمت قائلة :

— وداعا يا هر ( فولف ) .. وداعا يا ( وجه الفأر ) .

\*\*\*

انتهى ( أدهم ) من إيصال مصباحي السيارة الأعطمة

بطاقتها ، ثم لامس الأسلاك ، وابتسم حينما أضاء

المصباحان ، وسمع صوت ( فون هملن ) يقول في عجب :

٦٤

— ماذا تتوقع أن يفعل هذان المصباحان ؟

أجابه ( أدهم ) في هدوء ، وهو يطفى المصباحين :

— سيثوفا الرؤية أمام صديقنا ( وجه الفأر ) ،

فلا يتبين الهوة التي تعترض طريقه .

هر ( هملن ) كفيه ، وقال وهو يرفع مسدسه أمام

وجهه :

— إن ( فولف جانج ) لن تهزمه مصابيح سيارة ، مهما

بلغت قوتها أيها المصري .... الرصاص فقط هو الذي يحطم

رأسه القلْب .

زوى ( أدهم ) ما بين حاجبيه ، وقال :

— لم أكن أفضل اللجوء إلى القتل يا هر ( هملن ) ،

ولكن للضرورة أحكام .

ابتسم ( هملن ) وهز كفيه في لامبالاة ، في نفس

اللحظة التي ارتفع فيها صوت السيارات التي تقترب ،

فأشار ( أدهم ) إلى شجرة قريبة ، وقال :

— لقد حانت المواجهة يا ( هملن ) .. أسرع بالاختباء .

٦٥

٥٥٥ - رجل المسجل - آخر الحادثة - ( ٢٦ )

## ٧ - الحرب خدعة ..

قاد ( فولف جانج ) سيارته في جذل ، نحو المنطقة التي

حدّدتها ( منى ) ، وهو يقول لرجل الشرطة البولندي الذي

يجلس إلى جواره :

— هل تعلم لم استولوا على سيارة السائحة

الإنجليزية ؟ .. لأن سيارتهم تحطمت تماما ، حينما هبطوا على

هذا الجانب .. لقد رأيت هذا بعيني .. لقد أخطئوا حينما

تركوا هذه السائحة على قيد الحياة .

غمغم رجل الشرطة البولندي في شك :

— ألا يثير هذا تعجبك يا هر ( فولف ) ؟

وقبل أن يفكر ( فولف ) في الأمر ، أضاء ( أدهم )

المصباحين ، اللذين أطلقا ضوءهما في وجه ( فولف )

تماما ، فصرخ :

— ها هم أولاء .. إنهم يحاولون الهرب .

٦٧

ثم اختفى خلف إحدى الأشجار القريبة ، وأمسك

بسلكي البطارية مترقبا ، حتى لاحظ له أضواء السيارات

التي تقل ( فولف ) ورجال الشرطة ، فغمغم في سخرية :

— لئلا .. أتهزمك المصباح ، أم تحطمت أنت يا ( وجه

الفأر ) ؟

\*\*\*



٦٦

ثم يكن الظلام يسمح له برؤية أكثر من مصباحي سيارة مضيتين ، ولكنه اتخذ موقفا شجاعا جريئا ، فقد انخرق بالسيارة في حدة ، وضغط (فراملها) في قوة ، بحيث توقفت وسط عاصفة من الغبار في مواجهة المصباحين تماما ، وهو يظن أنه بذلك يقطع الطريق على السيارة الأخرى .. ولم تتوقف سيارات الشرطة الخمس الأخرى ، بل حاولت تطويق ما ظنته سيارة في المواجهة ، فاندفعت أربع سيارات في الاتجاهين المحيطين بالمصباحين ، وتبته سائقوها بعد فوات الأوان ، أنه لا توجد أية سيارات .. مجرد مصباحين متصلين ببطارية سيارة ، ومثبتين على حافة الهوة السحيقة تماما ...

وأمام عيني ( فولف ) الجاحظتين ، هوت السيارات الأربع في الهوة السحيقة ، وارتفع صراخ الحشد الذي يملؤها من رجال الشرطة ، وتوقفت السيارة الخامسة خلف سيارة ( فولف ) تماما ، وقفز منها سبعة من رجال الشرطة ، لقي منهم اثنان مصرعهما في أول لحظة برصاصتين من مسدس ( هملن ) ، وقفز ( فولف ) من سيارته ، وكذلك

فعل رفيقه الشرطي البولندي ، وأخرج كل منهما مسدسه ، في نفس اللحظة التي حطمت فيها رصاصات ( هملن ) مصابيح السيارات ، وجذب ( أدهم ) الأسلاك ، فساد الظلام التام ..

همس ( فولف ) في حلق وغيظ :  
— يا للعار !! لقد حطّموا قوّتنا في التواني الأثري من المعركة .

أجابه الشرطي البولندي :  
— لقد خدعونا خدعة بارعة يا هِر ( فولف ) ، والآن أقفوا بنا في مصيدة من الظلام الدّامس .  
تلفت ( فولف ) حوله ، محاولاً الرؤية من خلال الظلام ، ثم همس في قلق :  
— هؤلاء الأوغاد يحاولون التسلل بالظلام .. ولكنهم في الواقع في مصيدة مظلمة مثلنا تماما .  
وفي نفس اللحظة ، كان أحد الجنود الخمسة الباقين يهمس في أذن زميل له :

— لقد دفعنا هذا الأثالي إلى الفخ ، وتسبب في مصرع زملائنا .. لو أن الأمر يبدى لحقته عقابا له .  
قال زميله وهو يحاول اختراق الظلام ببصره :  
— ذكّك من هذه الأفكار ، ولنؤجل ذلك إلى ما بعد قضائنا على هؤلاء الأعداء .  
أجابه الجندي في قلق :  
— أنت على حق يا ...

وبتر عبارته فجأة في شهقة مكتومة ، التفت لها الجنود الأربعة الآخرون ، وتحيل إليهم أن شيئا مرعبا قد انقض عليهم وسط الظلام ، فقد طارت مدافعهم الرشاشة الأربعة فجأة بضربات قوية ، وشعر أولهم بصاعقة حطمت فكّه ، ومادت الأرض تحت قدمي الثاني ، إثر قبيلة انفجرت في أنفه ، وهوى الثالث مغشيا عليه ، بعد أن تهبشت أسنانه بفعل مطرقة فولاذية هبطت فوقها ، ولم يجد الرابع وقتا لفهم ما حدث ، فقد سقطت لكمة ساحقة بين عينيه ، وأخرى خلف أذنه ...

وانتهى الرجال الخمسة دون ضجيج ، وابتسم ( أدهم ) في سخرية وهو يزعمهم بعيدا ، ثم زحف في هدوء نحو سيارة ( فولف ) ، وأفرغ الهواء من عجلتيه اليمينيتين وهو يسمع صوت أنفاس ( فولف ) والشرطي البولندي من الجانب الأيسر ، وعاد يزحف عائدا إلى السيارة ، وهو يقول لنفسه ساخرا :  
— يا للعجب !! إن هذا يذكرني بأيام الصاعقة .

وفي هدوء استقر خلف عجلة قيادة السيارة الأخرى ، وحرك عصا السرعة إلى الوضع الأول ، ثم إدار المحرك .. ولم يكد صوته يصل إلى أذني ( فولف ) والبولندي ، حتى استدارا في جزع ، وقد ظنّا أن رجالهما هم المتسببون في ذلك .. وفي نفس اللحظة انطلقت رصاصات مسدس ( هملن ) ، فأسرع ( فولف ) والبولندي يستتران خلف سيارتهما ، وانطلقت ضحكة ( أدهم ) الساخرة تجلجل في المكان ، عندما وقفز ( فون هملن ) إلى السيارة ، وانطلق بها ( أدهم ) في سرعة ومهارة ، وصرخ ( فولف ) في غيظ وحق :



— يا للشيطان !! لقد خدعونا مرة أخرى .. خدعونا  
كما لو كنا مبتدئين سذج ..

وأعقب قوله بأن قفز إلى السيارة الأخرى ، وأدار  
محركها ، ولحق به البولندي ، وحينما حاول الانطلاق بها  
فوجئ بما أصاب العجلتين إلى اليمين ، فصرخ في غيظ ، ورفع  
سماعة جهاز الإرسال المثبت بالسيارة ، وصاح في غضب :  
— إلى القوات الرابضة في ( جدرانك ) .. لقد أفلت  
من نظاردهم وهم في طريقهم إليكم .. إنها السيارة الوحيدة  
على الطريق الفرعى .. أطلقوا النار في الحال .. دون  
إنذار .

\*\*\*

قال ( ثون هملن ) في غيظ ، وهو يقرب وجهه من  
زجاج السيارة ، حتى يكاد يلتصق به :

— هل أنت مصرٌّ على القيادة بهذا البطء ؟

ابتسم ( أدهم ) ، وقال :

٧٢

— إننا نسير بسرعة ستين كيلومتراً في الساعة ،  
ولا تنس أن مصابيح السيارة محطمة بفعل رصاصاتك ،  
والظلام يكاد يكون شاملاً ، لولا قليل من ضوء القمر ..

غمغم ( ثون هملن ) في حق :

— إننى في الواقع أتساءل : كيف يمكنك القيادة في  
هذا الظلام ؟ لقد ظننت أن عيني تخدعاني .

ابتسم ( أدهم ) وقال :

— ها هي ذى زميلتنا ( منى ) ..

ابتسم ( هملن ) في خيث ، وقال وهو يسرّ كنف  
( أدهم ) بأصابعه :

— بالمناسبة أيها المصرى .. لقد سمعتها تصاديك

( أدهم ) ، وملفكم كمصريين يحوى اسم رجل خارق  
يمتلك نفس قدراتك ، كنا نظن أنه لقي حتفه .

أوقف ( أدهم ) السيارة ، وانفتت إليه قاتلاً في برود :

— وبعد يا هرّ ( هملن ) .

قفزت ( منى ) إلى السيارة في تلك اللحظة ، وهي تقول :

٧٣

وفجأة ، وبمجرد أن بدأت السيارة في السير ، وقبل أن  
ينطق ( أدهم ) بكلمة واحدة تعقيباً على قول ( هملن ) ،  
انطلقت أضواء قوية في وجه السيارة ، وانهمر وابل من  
الرصاص حولها ، وصرخت ( منى ) :  
— يا إلهي !! لقد اقتصونا .. لقد سقطنا في أيديهم  
( أدهم ) .

\*\*\*



٧٥

— حمدًا لله على وصولكما سالمين .. لقد خشيت  
بعض الوقت أن يهزموكما .

كان ( هملن ) هو الذى تحدث قاتلاً :

— اطمئننى يا سيدى .. إنهم يواجهون آخر رجل  
جستابو في العالم ، والشيطان المصرى ( أدهم صبرى ) .  
توقفت ( منى ) فجأة ، ونقلت بصرها بينهما ، ثم  
قالت في بطء :

— كيف عرفت يا هرّ ( هملن ) ؟

ابتسم ( أدهم ) في مرارة ، وقال وهو يدير محرك  
السيارة :

— لقد عرف بفضلك كالعادة يا عزيزتى .. بفضل  
ثروتك .

امتقع وجه ( منى ) ، على حين قال ( هملن ) في  
هدوء :

— لا تخش شيئاً يا شيطان الخبايا المصرية .. لن  
يعلم سرك سوى

٧٤

## ٨ - العبور الأخير ..

انتاب ( منى ) شعور عارم باليأس ، وذُئف الأجل ، وأسرع ( هملن ) يخرج مدسه الضخم ، ويسحب إبرة الأمان به ، على حين فاجأهما ( أدهم ) ، عندما صاح فجأة بالألمانية ، مقلداً صوت ( فولف جانج ) بشكل رائع ، أذهل ( هملن ) نفسه :

— توقّفوا أيها الأوغاد .. ألَمْ تروا أنها سيارة شرطة ؟ توقّف انهمار الرصاصات فجأة ، وقد ظلّ رجال الشرطة أنهم أخطئوا بإطلاق النار على ( فولف ) نفسه .. ولم يضع ( أدهم ) لحظة واحدة ، ولا جزءاً من الثانية .. فجسّد توقّف إطلاق النار ، انطلق هو بالسيارة وسط حشود الشرطة في جراءة مذهلة مركبة ، ومرك بين سيارتين ، محطماً المصباح الأيسر لإحداهما ، وضغط دواسة الوقود بكل ما يملك من قوة ، فاندفعت السيارة بسرعة تفوق قدرة

محركها ، حتى وهى جديدة ، ومن خلفه انطلقت رصاصات رجال الشرطة محمّلة بالفضب والخنق والكراهية ، ولكنها ارتطمت بمهارة ( أدهم ) ، وضحكته الساخرة ، وهو يقول في سخيرة مريّة :

— عجيباً .. يتخلّى لى أننى قد شاهدت هذا الموقف من قبل .

أجابته ( منى ) في صوت مفعم بالقلق :

— ولكنه لم يكن بهذه الوعورة .

وكانت على حق ، إذ انطلقت خلفهم تسع سيارات تابعة للشرطة البولندية ، وطريقهم واحد يتجه إلى ( جدانسك ) ، حيث ينتظرهم رجال الأمن ... وساد الصمت في السيارة .. لم يعد هناك سوى صوت المحرك ، وصفارات سيارات الشرطة المطاردة ، إلى أن قال ( أدهم ) :

— إن قاعدة حلف ( وارسو ) تقع على بعد ثلاثة كيلومترات غربى ( جدانسك ) ، ولها طريق منفصل ، محاط بالأشجار .. أليس كذلك ؟

— أَلن تقفز معنا ؟

ابتسم ابتسامة ساخرة ، وقال :

— إنهم ليسوا بمثل هذا الغباء يا عزيزى .

ثم قال فى حزم وجدية :

— هيا .. استعدّا للقفز .

والحرف فجأة نحو أكمة من الأشجار المتشابكة ،

وصاح :

— اقفزا .

قفزت ( منى ) في شجاعة وسط الأشجار المتشابكة ،

وشعرت بالأغصان تمزّق معقلها في صوت مزعج ،

وأصابتها بعض الجروح والخدوش ، وتدرجرت طويلاً على

الأرض قبل أن تستقر ، وتظهر في دهشة إلى سيارة

( أدهم ) ، التى عادت إلى الطريق ، وواصلت

اندفاعها .. وما هى إلا ثوانٍ ، حتى مرّت أمامها سيارات

الشرطة المطاردة في صوت مزعج .. وكان من الواضح أنها لم

تلتفت أو تتبعه لقفز ( منى ) و ( هملن ) ، بدليل أن

إحدهما لم تتوقّف ..

أجابته ( هملن ) :

— بلى .. ما الذى تهدف إليه ؟

تجاهل ( أدهم ) السؤال ، وعاد يسأل :

— هل يمكنكما القفز من السيارة ؟

أجابته ( منى ) :

— يمكننى ذلك بالطبع .

أما ( هملن ) فقد تردّد لحظة ، ثم قال :

— إن سائق مصابة ، وسنّى قد تحطّت هذه

الأعمال العنيفة ، ولكن .. أعتقد أننى أستطيع ذلك .

قال ( أدهم ) وهو يطلق بالنيارة ، ويختلس النظر

ما بين لحظة وأخرى ، إلى السيارات المطاردة من خلال

مرآة السيارة :

— حسناً .. سأسقطكما على بعد كيلومتر من

القاعدة ، وعلينا أن نلتقى هناك ، بجوار السور الشرقى في

العاشر والنصف تماماً .

نأته ( منى ) في قلق :



وشعرت ( منى ) بمدى ذكاء ( أدهم ) ، حينما انحرف داخل الأكمة المتشابكة لحظة القفز .. وبينما هي في أفكارها شعرت بكفّ خشنة تمسّ يدها ، فانتفضت في دعر ، ولكنها تنهّدت حينما سمعت صوت ( هملن ) الأجش يقول :  
— هل أنت بخير يا سيّدتي ؟ .. ذعينا نسرّع إذن إلى مكان اللقاء .

نفضت ( منى ) الغبار عن معطفها ، وقالت وهي تنهض :

— هيا يا جرّ ( هملن ) .. ولنُدعُ الله أن ينجح ( أدهم ) في اللحاق بنا .

ابتسم ( هملن ) ، وهو يقول :

— لا تقلقي على هذا الرجل يا سيّدتي .. صدّقيني .. لو كان لدينا رجل مثله ، لما خسرت ( ألمانيا ) الحرب العالمية الثانية .

\*\*\*

٨٠

لم يكد ( أدهم ) يطمئن أن أحدًا لم يلمح ( منى ) و ( هملن ) ، ولما يقفزان خارج السيارة ، حتى أطلق لها العنان ، وهو يقول لنفسه في سخرية :

— ويل لك يا ( أدهم ) ، لو أن هؤلاء المتوحشين لحقوا بك !!

ثم رفع قدمه متعمّدًا عن دواسة الوقود ، وضغط في هدوء على ( فرامل ) السيارة ، بحيث انخفضت سرعتها فجأة ، ومال بها جانبًا ، قاطعًا الطريق على السيارات المطاردة التي أصابها الارتباك ، فانحرفت كل منها في اتجاه عشوائي ، أدّى إلى ارتطام ثلاث منها بعضها ببعض ، على حين نجحت الست الأخرى في تفادى الارتطام ، وأصابها الدهشة حينما اندفعت سيارة ( أدهم ) ، وكأنه فقد سيطرته عليها ، وسط خيلة متشابكة الأغصان على جانب الطريق ، وارتطمت السيارة بجذع ضخّم ، فانتقلت وعثّشت مقدّمتها ، ولم تلبث أن اندلعت منها النيران ... قفز رجال الشرطة من سياراتهم ، وهم يحملون أجهزة إطفاء النيران ، والتفوا حول السيارة المشتعلة يهدفون

٨١

( ٦٨ - رجل المستعجل - آخر الحارة - ( ٢٦ ) )

تنهّدت في ضيق ، وقالت :

— ليته يعاملني بهذا الاعتبار يا جرّ ( هملن ) .

وفي تلك اللحظة ، سمع كلاهما صوتًا ساخرًا خافتًا يقول :

— لا داعي للتبرّم أيّها النقيب .

التفتت ( منى ) في سعادة ، وهتفت في صوت خافت :

— ( أدهم ) .. حمداً لله على نجاتك .

اقرب ( أدهم ) في هدوء ، وقال وهو ينزع معطفه الممزّق :

— شكراً يا عزيزتي .. ولكنني أعتقد أن زملائنا في المخابرات ، سيفضلون بتر ساق ، التي تتحمّل الكثير وهي مصابة .

ابتسم ( هملن ) ابتسامة شاحبة ، وقال :

— إن حالها أفضل من ساق بالتأكيد .

أسرعت ( منى ) تسأل :

٨٢

إلى إخماد نيرانها ، ووقف قائددهم يراقبهم عن بعد ، وقد انتصحت أوداجه في فخر ، وهو يقول :

— ها قد قضينا على الجواسيس دون معاونتك يا جرّ ( فولف ) .

\*\*\*

جالت ( منى ) ببصرها في قلقي ، حول السور الضخم المدعّم بالاستحكامات والتحصينات القوية ، والمحيط بقاعدة حلف ( وارسو ) العسكرية ، وازدردت لعابها في صعوبة ، وهي تتأمل الحُرّاس الأقوياء ، الذين يسرون في حركة مستمرة دائبة ، لحماية مدخل القاعدة ومخارجها ، ثم نظرت في ساعتها ، والتفت إلى ( ثون هملن ) تسأله :

— هل لديك أيّة فكرة عن الوسيلة التي ينسوى ( أدهم ) اتباعها ، لدخول هذه القاعدة العسكرية ؟ .. إنها أشبه بالخنزير .

جرّ ( هملن ) رأسه في قلقي ، وقال :

— كان من المفروض أن أسألك أنا هذا السؤال يا سيّدتي ، فأنت زميلته .

٨٢

— ألم يتعبك أحدهم يا سيادة العقيد ؟

هز ( أدهم ) رأسه نفياً ، والتفت إلى ( هملن ) ، ومد يده إليه قائلاً :

— هل تسمح بتسليمي مسدسك يا هز ( هملن ) ؟

ناوله ( هملن ) المسدس في ثقة ، فدهسه ( أدهم ) في جيب سترته ، وقال :

— شكراً يا هز ( هملن ) .. سأرده لك في ( السويد ) .

سأله ( منى ) في فضول يمتزج بالقلق :

— هل لديك خطة معينة ، لكيفية دخولنا القاعدة يا سيادة العقيد ؟

ابتسم ( أدهم ) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

— بالطبع يا عزيزي .. سندخل من الباب الرئيسى .

نظرت إليه في دهشة ، ولكنه رفع مسدسه نحوها ونحو ( هملن ) ، مستطرداً في هدوء :

— معذرة .. فأننا أسيرى .

\*\*\*

## ٩ — الجنرال ( روزسكى ) ..

تحرك حارسا الباب الرئيسى لقاعدة حلف ( وارسو ) العسكرية ، حركتهما الروتينية المعتادة ، وقد أصابهما الملل الشديد ، وفجأة خالف أحدهما سيره ، ورفع مدفعه الرشاش يصوبه إلى ثلاثة أشخاص يتقدمون ، وأسرع زميله بحذو حذوه ، حينما اقترب الثلاثة من الضوء ، وتبين أنهما رجلان وامرأة ..

كان أحد الرجلين وهو الأكبر سناً يسير إلى جوار المرأة في الأمام ، وقد ارتفعت أذنتهم فوق رأسيهما ، على حين سار الرجل الأصغر سناً خلفهما ، وفي قبضته مسدس ضخم ، يصوبه إليهما ..

صاح أحد الحارسين في صرامة :

— قفوا .. أسرعوا بإخيارنا عن معنى ذلك ، وإلا أطلقت النار .

٨٥

قال ( أدهم ) بلغة المانية ، وهو يخفض مسدسه :

— لا تبعد قوهة مدفعك الرشاش عنهما يا صديقى ، فهما أسيرى .

ثم تقدم من الحارس الثانى ، الذى صوب مدفعه نحوه في شك وحذر ، وقذف ( أدهم ) مسدسه بين قدمى الحارس ، وقال وهو يخرج من جيب سترته بطاقة بلاستيكية يقدمها له :

— اطمئن يا صديقى .. إننى أريد مقابلة قائد القاعدة .. سلمه بطاقتى هذه .

تناول الحارس البطاقة في حذر ، ولم يكذب ينظر إليها حتى اعتدل في احترام ، وقال في هجة عسكرية ، وهو يرفع يده بالتحية :

— معذرة يا هز ( شيت ) .. سأقدم بطاقتك إلى القائد فوراً .

ابتسم ( أدهم ) ، وقال وهو يشير إلى ( منى )

و ( هملن ) :

٨٦

— نعم يا صديقى .. أسرع .. وأخبره أن معنى أسيرين .

\*\*\*

عقد ( أدهم ) كففيه خلف ظهره ، ووقف في هدوء ينتظر أوبة الحارس ، الذى هرع لإخبار قائده ، وابتسم ابتسامة شاردة وهو ينظر إلى الحارس الآخر ، الذى شعر بأهمية ( أدهم ) ، من الحوار الذى دار بينه وبين زميله ، فأبعد عنه قوهة مدفعه الرشاش ، وصوبها إلى ( منى ) و ( هملن ) ، اللذين تظاهرا بالانسلام والخضوع ..

وسرح ( أدهم ) بأفكاره ، فيما حدث منذ إنسان هذه المهمة المعقدة إليه .. كان يشعر بتعب من جراء حركته المتواصلة ، وبألم شديد في ساقه المصابة ، أخذ يتضاعف منذ قفز من سيارة الشرطة عند الحميلة المتشابكة .. واتسعت ابتسامته وهو يتصور ما سيفعله قائد قاعدة حلف ( وارسو ) العسكرية ، حينما يطلع على بطاقته المزينة ...

٨٧



لم يكن اختيار قاعدة حلف ( وارسو ) نقطة للهروب  
أمرًا جزافيًا ، أو حُطّةً وليدة الساعة ، وإنما كان تقديرًا  
عكف خبراء المخابرات المصرية على دراسته ، وتفنيدته بكل  
دقّة ممكنة ، منذ إقرار القيام بالعملية .. لقد تمت دراسة  
شخصية قائد القاعدة الجنرال ( ليخ روزسكى ) ..  
علاقاته .. اهتماماته .. صلاته الشخصية والعملية ..  
إمكانية الفرار .. الخطوات المحتملة .. وفي النهاية تحركت  
أصابع ( قدرى ) الماهرة الفنية ، لتزور بطاقة من بطاقات  
المخابرات الألمانية الشرقية ، تحمل صورة ( أدهم ) ، واسم  
( هاندل شيت ) ، وصفته مدير مكتب العلاقات  
الخارجية بالمخابرات الألمانية الشرقية .. منصب مخيف تهنّز له  
النجوم التي ترّين كنفى الجنرال ( روزسكى ) ...  
وأفاق ( أدهم ) من أفكاره ، حينما سمع صوت  
الحارس ، الذى عاد لاحقًا وهو يفتح بوابة القاعدة ، قائلاً  
فى احترام :  
— الجنرال ( روزسكى ) ينتظرك بمكتبه يا هِرْ  
( شيت ) .

ابتسم ( أدهم ) ، وقال وهو يشير إلى ( منى )  
و ( هلمان ) :  
— أصبحنا معاً إلى هناك .. وثق أن رئيسك سيُسّر  
بذلك .

\* \* \*

نهض الجنرال ( روزسكى ) ، أو بمعنى أدق .. قفز  
من خلف مكتبه ، ومدّ يده فى ثرخاب مبالغ فيه إلى  
( أدهم ) ، الذى صافحه فى هدوء ، وقال بفطوسة  
متعمّدة :

— كيف حالك يا جنرال ( روزسكى ) .. أما زلت  
تهوى جمع علب النقاب ؟

ابتسم الجنرال ( روزسكى ) ، وقال فى خبث :  
— بلى يا هِرْ ( شيت ) .. إنك تقول ذلك لتمخو من  
ذهنى أية بادرة شك بالنسبة لشخصيتك .. أليس  
كذلك ؟.

هِرْ ( أدهم ) كتفيه . وقال :

— إننا لمْ نتقابل من قبل ، ولكن بطاقتى تكفى  
لإثبات شخصيتى يا جنرال .  
ضحك الجنرال ، وهو يشيخ بيده قائلاً :  
— بلا شك يا هِرْ ( شيت ) .. قلائل إلى حدّ  
التدرة ، هؤلاء الذين يعلمون بشكل بطاقات المخابرات  
الشرقية .. حتى المخابرات الأخرى تجهل ذلك .  
ابتسم ( أدهم ) ابتسامة عريضة ، أخفى بها ضحكة  
ساخرة ، حاولت الإفلات من بين شفتيه ، وقال :  
— أنت محقّ يا جنرال .. وفى الواقع لقد أتيت إلى هنا  
لأمر غاية فى الخطورة ، ويحتاج إلى سرّيّة مطلقة .  
ابتسم ( الجنرال ( روزسكى ) ، وقال فى مكر :  
— يقولون إنك تقود أسيرين يا هِرْ ( شيت ) .  
مال ( أدهم ) نحوه ، وقال فى لهجة خافتة ، توحى  
بأهمية الأمر البالغة :  
— ليسا أسيرين عاديين يا جنرال .. إنه آخر رجال  
الجستابو ورفيقته .

اتسعت عينا الجنرال ، وهو يغمغم فى ذهول :  
— يا إلهى !! آخر الجبابرة .. لعلك تقصد ( قون  
هلمان ) ، الذى فرّ منكم منذ أيام .  
أوماً ( أدهم ) برأيه إيجاباً ، وقال بنفس اللهجة ذات  
الأهمية :  
— نعم يا جنرال .. لقد أمسكت به بعد لأى ،  
ولكننى مطارد .

سأله الجنرال فى حماس :  
— ممّن يا هِرْ ( شيت ) ؟  
أجاب ( أدهم ) ، وهو يلوّح بكفه فى حركة لا تعنى  
شيئاً :

— أنت تعلم أن ( الموساد ) يسعى دائماً خلف  
النازيين القدامى ، فى محاولة للتّيل منهم ، انتقاماً لما فعله  
( هتلر ) فى الحرب الأخيرة .  
قال الجنرال ، وقد اكتست ملامحه وصوته بالاهتمام  
والجدّيّة :

— تقصد أن رجال (الموساد) يطاردونك ؟

قال (أدهم) وهو يحيط شففيه في حركة مفتعلة :

— بالضبط يا جنرال ؛ لذا تجدني غير قادر على اتباع  
الوسائل المألوفة في التقليل ، ولقد فكرت في فكرة مجنونة .

ثم رمق الجنرال بنظرة عجيبة ، وهو يستطرد :

— تحتاج إلى رجل شجاع قوى لمعاونتي على تنفيذها .

قال الجنرال في حماس ، وهو يخط بقبضته على زجاج

مكتبه :

— مَرِّ بما تريد يا هِرْ (شيث) .

مال (أدهم) نحوه ، وضاعت عيناه وهو يقول في

صوت هامس :

— أحتاج إلى استعارة أحد زوارق البخارية القويّة

يا جنرال .

اتسعت عينا (روزسكى) دهشة ، وعاد إلى مقعده ،

وزوى ما بين عينيه ، وأخذ يحلّ ذقنه في تردّد وخيرة ،

وهو يقول :

— ولكن هذا إجراء خطير يا هِرْ (شيث) .. إجراء

خطير للغاية .

قال (أدهم) في لهجة حماسية :

— لذا فهو يحتاج إلى رجل غير عادى يا جنرال .

تردّد الجنرال (روزسكى) لحظة ، ثم قال وهو يقلّب  
كفّه :

— من الصعب تحمل مسؤولية ذلك يا هِرْ (شيث) .

قلّب (أدهم) شففيه ، وكأنه شعر بالازدراء ، وقال :

— سأترك لك بطاقة هويتى يا جنرال ، وسأوقع لك

إقراراً على مسؤوليتى بذلك ، وسأتحمل كل ما يترتب على

الأمر .. فلقد وجدت أن وصولنا إلى (ألمانيا الشرقية) عن

طريق البحر ، أمر لن يتوقّعه خصومنا من رجال

(الموساد) ، فهم يتوقّعون ممّا عبور الحدود .

ثم أشاح بوجهه ، وهو يستطرد في لهجة إغرائية :

— يا للأشف !! كنت قد سمعت أنهم ينوون إنشاء

جهاز خاص للمخابرات يتبع الحلف ، وأنهم يبحثون عن

رئيس له يتميز بالشجاعة والجرأة و ....

## ١٠ — الصاروخ القاتل ..

قذف (فولف جانج) سماعة جهاز اللاسلكى الصغير

في غضب ، والتفت إلى قائد رجال الشرطة صائحاً :

— لقد كانت السيارة المختقة خالية .. لقد خدعوا

رجالك للمرة الثالثة يا (كالسكى) .

زجر (كالسكى) بغمغمة غاضبة دون أن يتكلم ،

على حين استمر (فولف) يقول :

— ولكن لماذا ؟ .. لماذا فعلوا ذلك ؟ وأين اختفوا في

الطريق إلى (جدانسك) ؟ .

وأشعل سيجارة رفيعة ذات رائحة قوية ، ونفث دخانها

وهو يتطلّع في خيرة إلى الخريطة الضخمة المفرودة أمامه ،

وأخذ يدعك صدغه في قوة ، وقد التقى حاجباه في شكل

ينم عن التفكير العميق .. واقترب منه (كالسكى) ،

وتظاهر بمراقبة الخريطة بدوره ، وإن كان في أعماقه يشعر

برقت عينا الجنرال طمعاً ، وهب واقفاً وهو يضرب

قبضته على سطح مكتبه ، قائلاً في حماس مفتعل :

— أنت محق يا هِرْ (شيث) .. لا بُدّ من خطوة جريئة ..

سأسلمك الزورق .

ثم رفع سماعة الهاتف الداخلى ، وألقى بأوامره إلى

رجالاه ، وهو يحلم بتقلّده منصب مدير مخابرات حلف

(وارسو) .





بحق بالغ ، من تدخل هذا ( الألمانى الشرق ) فى شئون  
( بولندا ) ، ولكنه تذكر أن الأمر يتعلق بألماني آخر ، فهز  
كفيه وأبعد رأسه فى استنزاز عن الدخان الكريه الذى ينفثه  
( فولف ) من فمه .

وفجأة برقت عينا ( فولف ) ، وأشار إلى نقطة ما على  
الخريطة قائلاً :

— هذه هي قاعدة الحلف العسكرية .. يا للشيطان !!  
هذه هي وجهتهم .

قطب ( كالكسكى ) حاجبيه ، وقال :

— هذا مستحيل يا هر ( فولف ) .. لن يمكنهم اقتحام  
قاعدة عسكرية .

صاح ( فولف ) فى حماس :

— هذا هو الفرق بيننا كرجال مخابرات ، وبينكم  
كرجال شرطة يا ( كالكسكى ) .. أنتم ترون الكثير من  
المستحيلات ، ونحن لا نراها كذلك .. إن رجل المخابرات  
الأمريكي هذا شيطان و ....

قاطعه ( كالكسكى ) ، قائلاً فى دهشة :  
— أمريكى ؟! .. ألم تقتل من قبل إنه ألماني غريب ؟  
هر رأسه فى قوة ، قائلاً :

— بل أمريكى يا ( كالكسكى ) .. لو أنك رأيت كيف  
قفز بالسيارة غير الهوة ، لجذمت أنه كذلك .  
ثم عاد إلى الخريطة ، وقال وهو يرتدى معطفه على  
عجل :

— المهم أن نلحق بهم ، قبل أن يحصلوا على أحد زوارق  
قاعدة حلف ( وارسو ) .. فلو أنهم تحطوا حدود المياه  
الإقليمية ، فسنفقد رجل الجستابو الأخير هذا إلى الأبد .

\*\*\*

نقل الجنرال ( روزسكى ) عينيه بين ( أدهم ) و ( منى )  
و ( هملن ) ، ثم عاد ينظر إلى محركات الزورق البخارى  
الحرقى ، ورفع رأسه فى خيرة إلى ( أدهم ) ، وقال :  
— أوافق أنت من قدرتك على قيادة هذا الزورق وحدك  
إلى دولتك يا هر ( شميت ) ؟

ابتسم ( أدهم ) قائلاً :

— بلا شك يا جنرال .. إننى أقود هذه الزوارق  
الحربية ، بنفس البساطة التى يقود بها صبي صغير دراجة  
عادية .

هر ( روزسكى ) كفيه ، وقال :

— وهل سيمكنك السيطرة على أسيريك ، وأنت  
هكذا وحدك ؟

أشار ( أدهم ) إلى ( منى ) و ( هملن ) ، ولوح  
بالمسدس الضخم الذى استعاره من ( فون هملن ) ،  
وقال :

— إنهما مقيدان كما ترى يا جنرال ، كما سيخضعهما  
مسدسى هذا .

ابتسم الجنرال ، وقال وهو يصفح ( أدهم ) فى أمل

محملة :  
— رحلة موفقة يا هر ( شميت ) .. لا تنس أن تذكرنى

عند رؤسائك .

أوما ( أدهم ) برأسه إيجاباً ، وقال :

— لن ندم على مبادرتك الجريئة هذه يا جنرال ..  
أؤكد لك .

هبط الجنرال إلى الميناء ، وأشار إلى رجاله بمل مرسة  
الزورق الحرقى ، ثم رفع يده بالتحية العسكرية مكرراً .  
— رحلة موفقة يا هر ( شميت ) .

وفى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت محركات  
الزورق الحرقى ، هرع أحد الجنود إلى الجنرال ، وناولته برقية  
خاصة ، وهو يلهث قائلاً :

— سيدى الجنرال .. إنها برقية عاجلة للغاية ،  
استقبلها الجهاز السرى الخاص ، على الموجة الطويلة  
الحكيمة .

تناول الجنرال البرقية فى اهتمام ، وارتجف قلبه المريض ،  
وجحظت عيناه ، وتقصّد جسمه عرقاً ، حيناً قرأ محتوياتها  
التي تقول :

« احذر الخداع .. ثلاثة من الجواسيس سيحاولون

الوصول إلى القاعدة ، والاستيلاء على أحد الزوارق الحربية .. لا تسمحوا بذلك .. نكرر .. احذر الخداع .  
شعب وجه الجنرال ، ورفع رأسه نحو الزورق الذى بدأ يتحرك فى ببطء ، واحتبست الكلمات فى حلقه وهو يرتجف غضباً ، ثم صاح أخيراً فى غضب عارم :  
— أوقفوا هذا الزورق .. أوقفوا هؤلاء الجواسيس الخنادعين .. أطلقوا النار .. اقتلوهم .. اقتلوهم .

\* \* \*

كان هذا الأمر بمثابة مفاجأة مذهلة ، بالنسبة لجنود القاعدة ، الذين شاهدوا قائداهم ( روزسكى ) ، يبطئ من الزورق البخارى هاشاً باشاً ، قبل إصداره هذا الأمر بثوان معدودة ؛ لذا فقد تردّدوا لحظة قبل إطلاق النار ..  
أما ( أدهم صبرى ) ، فهو ضابط مخبرات ناجح ، ويرجع سر نجاحه إلى أنه يتوقّع المفاجآت والخطر فى كل لحظة ، مادام يعمل على الرغم من الغيظين به ؛ ولهذا السبب وحده استفاد ( أدهم ) من تلك اللحظات التى

١٠٠

تردّد فيها الرجال ، فانطلق بالزورق الحرقى ، مخالفاً كل القواعد البحرية المعروفة ، من حيث سرعة البدء ، وقواعد الإبحار ، واندفع يشق مياه البحر البلطى ، كسهم من الرصاص ، حتى أن ( منى ) و ( هملن ) سقطا أرضاً ، وتخلص هذا الأخير من قيوده التى تعمد ( أدهم ) عدم إحكامها ، وقفر قائلاً فى حق :

— هل تنوى إنقاذى أو قتلى يا هجر ( أدهم ) ؟

قالت ( منى ) وهى تهض ، بعد أن تخلّصت من قيودها :

— اصمت يا هجر ( هملن ) .. إننا نتحمل كل هذا من أجلك .

ولكن ( هملن ) لم يسمع عبارتها تقريباً ، فقد الصق بصره بميناء القاعدة العسكرية الذى يتعد بسرعة ، ثم صرخ فى فرح عجيب :

— ربّاه !! لقد هربنا .. لقد غادروا القاعدة .

صاح ( أدهم ) ، وهو يواصل الانطلاق بالزورق :

١٠١

— لا تتعجل يا ( هملن ) .. مازلنا داخل مياههم الإقليمية .

صاح ( هملن ) فى سعادة من لا يصدّق نفسه :

— إننى مطمئن ، مادمت أنت تقود الزورق يا هجر ( أدهم ) .. لقد نجونا ..

ثم أسرع ينتزع زراً ضخماً من أزرار معطفه ، ناوله إلى ( منى ) صائخاً :

— لحذى يا عزيزتى .. داخل هذا الزر يوجد ميكروفيلم ، يضم صور الملف الخاص بمصر فى المخابرات الشرقية .

تألّقت عينا ( منى ) ، وهى تضم قبضتها على الزر فى عناية ، وابتسم ( أدهم ) فى ظفر ، على حين استطرد ( هملن ) :

— لقد أحرقت الملف الأصل بالطبع ، فحمل فيلم صغير أسهل بكثير من حمل ملف ضخيم .

١٠٢

وفى تلك اللحظة ارتفع أزيز محرك ضخيم ، ورفع الجميع رؤوسهم يحاولون اختراق الظلمات ، على حين غمغم ( أدهم ) فى توقّر :

— لقد أطلقوا إحدى طائرات المليكوتير الحربية خلفنا .. لقد وصل الخطر إلى الذروة يا رفاق .

\* \* \*

لقد استغرق إعداد الزورق البخارى الحرقى ، الذى انطلق به ( أدهم ) وقتاً طويلاً ، حتى أن ( فولف جانج ) وصل إلى القاعدة العسكرية ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها الزورق مبتعداً ، تطارده رصاصات الجنود ، فقفز من سيارته إلى جوار الجنرال ( روزسكى ) صارخاً فى غضب :

— هل سمحت لهم بمخادعتك أيها الجنرال البائس ؟ .. هل أفلتوا ؟ .. هل ساعدت آخر الجبابرة على الإفلات ؟

ارتجف الجنرال ( روزسكى ) ، حيناً وقع بصره على ( فولف ) ، فقد كان يعرفه جيّداً ، ويعلم مدى قسوته ، ولامبالاته بالآخرين ، وارتعد صوته وهو يقول :

١٠٣



— لقد أعطاني أحدهم بطاقة مزينة من بطاقات  
الخبارات و ....

قاطعه ( فولف ) صارخا :

— تقصد رجل الاخبارات الأمريكي .. يالك من غي !!

شحب وجه الجنرال ( روزسكى ) وهو يردد :

— أمريكى ؟! يا للمصيبة !!

ثم عاد يلتفت إلى الزورق الذى غاب وسط ظلام  
الليل ، وصاح :

— سأرسل كل زوارقنا خلفه .. سأرسل أفضل رجالنا

و ....

قاطعه ( فولف ) ، وهو يهز رأسه الشبيه بالفأر ،  
ويقول :

— لن تلحق به الزوارق .. إننا نحتاج إلى شئ أقوى

وأسرع .. هل لديك أحد المليونيرات الحربية ؟

تملأت أسارير ( روزسكى ) ، وكأنما تذكر ذلك ،

وصاح :

١٠٤

— نعم يا هز .. لدينا هليكوبتر مزودة بصاروخين  
قتالين ، ومدفع رشاش و ....

صاح ( فولف ) مقاطعا إيّاه :

— سأستقله في الحال يا جنرال .. وربما يغفر لك ذلك  
بعض أخطائك .

وما هى إلا لحظات ، حتى كان ( فولف ) ينطلق  
بالمليونيت ، ويبحث قائدها على الإصرار ، وهو يفر في غيظ  
وحقن ، ويقسم بينه وبين نفسه على تدمير هؤلاء الرجال ،  
الذين كادوا يمتنونه بأول هزيمة له منذ بدء عمله في الاخبارات  
الشرقية .. وفجأة رأى الزورق الحربي ينطلق على مقربة من  
المليونيت ، فأشار إليه وهو يصرخ في قائد الطائرة :

— هيا .. انقض على الزورق .. انسفه .. حطمه ..  
لا تدع فيهم سنتيمترا واحدا سليما .

وفي هدوء الختفين وثقة المقاتلين ، ضغط قائد الطائرة  
على زر القتال ، وانطلق من جانب المليونيت صاروخ  
قوى ، نحو الزورق الذى يحمل ( أدهم صبرى ) ورفيقه .

\*\*\*

١٠٥

## ١١ — الختام ..

لو أن قائد المليونيت يمتلك أعصابا فولاذية ، فيمكن  
القول إن أعصاب ( أدهم صبرى ) يمكنها شق أعصابه ،  
كما يفعل السكين بقطعة من الجبن الطازج .. فلقد انطلق  
الصاروخ نحو الزورق ، وانتظر ( أدهم ) حتى الثانية  
الأخيرة ، إلى درجة أن ( فولف ) صرخ صرخة فوز ، على  
حين صرخت ( منى ) صرخة رعب ، وهى تتصور أن الثانية  
القادمة تحمل لها الموت .. ولكن ( أدهم ) انحرف بالزورق  
فجأة في مناورة رائعة ، فسقط الصاروخ في الماء ، وغاص  
طويلا قبل أن يتفجر ، بصورة ارتج لها الزورق ، وصرخ  
( فولف ) :

— يا للشيطان !! هذا الرجل ليس أمريكيا .. إنه من  
الخبارات الإنجليزية ، فهؤلاء القوم بحريون بالدرجة  
الأولى .

١٠٦

لم يسمع قائد الطائرة ما قاله ( فولف ) ، فقد شعر  
بالخفق بسبب إفلات الزورق منه ، واعتبر الأمر مهانة  
شخصية ، فانقض على الزورق ، وأطلق عليه الصاروخ  
الثاني ، وهو واثق من إصابته لهدفه ..

وربما كان الظلام ، أو الغضب ، أو مهارة ( أدهم )  
الفائقة ، أو كل هذه العوامل مجتمعة .. المهم في النهاية أن  
الصاروخ الثانى قد أخطأ هدفه أيضا ، وانفجر وسط مياه  
البحر ، فقفز ( ثون هملن ) صارخا في سعادة :

— لقد نجونا .. إن هذا النوع من الطائرات لا يحمل  
أكثر من صاروخين .. لقد نجونا .. لقد نج ..

وتوقفت حروف الكلمة الأخيرة في حلقه ، وجحظت  
عيناه في ذعر وألم ودهشة ، وارتفع في نفس الوقت صوت  
طلقات المدفع الرشاش المتصل بالمليونيت ، واندفعت  
الدماء من تقوُب شئى في جسد ( ثون هملن ) ورأسه  
وعنقه .. وسقط هذا الأخير وسط بركة من الدماء ، وقد  
فاضت روحه ..

١٠٧

صرخ ( فولف جاخ ) في سعادة يستحيل وصفها  
بالكلمات :

— لقد انتصرت .. لقد قضيت على آخر الجابرة ..  
لقد حطمت آخر جستابو في العالم .

قال الطيار في برود :

— هل نعود ؟

صاح ( فولف ) ، وقد منحه انتصاره نشوة عارمة :

— لا يا صديقي لا .. لا بد لنا من تلقين رجل المخابرات

هذا درساً قاسياً .. فليكن ألمانياً أو أمريكياً أو إنجليزياً ،

ولكن هذا لن يهم أحداً .. فلن تتبقي منه بقايا تصلح لدفعها

حين تنتهي منه ..

\*\*\*

نظرت ( منى ) إلى جثة ( فون هملن ) في دعر ،

وصاحت :

— لقد قتلوه يا ( أدهم ) .. مرقوه إرتا .

صاح ( أدهم ) وهو يزيد من سرعة الزورق ، حتى

تصاعدت الأبخرة من حجرة محركه :

١٠٨

— لقد حصلنا على الملف يا زميلتي ، وهذا هو كل  
ما يعينني في الأمر .

وفي تلك اللحظة ، أصابت رصاصات المليونكوتير جزءاً

كبيراً من سطح الزورق ، واختلط صوتها بصراخ ( منى ) ،

وشعر ( أدهم ) بعجزه ، ولم يكن أمامه سوى مواصلة

الانطلاق بالزورق في خطوط متعرجة ، وهو يناور

المليونكوتير في محاولة للإفلات ، على حين أسرع ( منى )

تخطف المسدس منه ، واستدارت تطلقه نحو المليونكوتير ،

وابتسم ( أدهم ) في شحوب ، وهو يقول ساخراً :

— هل ترفعين هزيمة هليونكوتير بمسدسك يا عزيزتي ؟

ولدهشته ولدهشة ( منى ) ، توقفت المليونكوتير عن

مواصلة المطاردة ، وبدأت في الدوران حول نفسها

متراجعة ، وحدثت ( منى ) في مسدسها بذهول ،

وغمغمت :

— ربّاه !! لقد هربوا يا ( أدهم ) .

خفض ( أدهم ) من سرعة الزورق الحربي ، واستدار

يتطلع إلى المليونكوتير ، التي ابتعدت وسط الظلام ، ثم

١٠٩

صدر من هذه السلسلة :

## رجل المستحيل

- ١ — الاختفاء الغامض . ٢ — سباق الموت .
- ٣ — قناع الخطر . ٤ — صائد الجواسيس .
- ٥ — الجليد الدامي . ٦ — قتال الذئاب .
- ٧ — بريق الماس . ٨ — غريم الشيطان .
- ٩ — أتياب الثعبان . ١٠ — المال الملعون .
- ١١ — المؤامرة الخفية . ١٢ — حلفاء الشر .
- ١٣ — أرض الأحوال . ١٤ — عملية مونت كارلو .
- ١٥ — إمبراطورية السم . ١٦ — الخدعة الأخيرة .
- ١٧ — انتقام العقرب . ١٨ — قاهر العمالقة .
- ١٩ — أبواب الجحيم . ٢٠ — ثعلب الطلوج .
- ٢١ — مضيق النيران . ٢٢ — أصابع الدمار .
- ٢٣ — فارس اللؤلؤ . ٢٤ — الضباب القتال .
- ٢٥ — الخنجر القضي . ٢٦ — آخر الجابرة .

رفع رأسه يتأمل النجوم التي تملأ السماء ، وصاح فجأة :

— ربّاه !! لقد غيّرنا مياهم الإقليمية يا عزيزتي ..

لقد نجحنا .

صرخت ( منى ) فرحاً ، وأجهشت بكياء السعادة ، على

حين ألقى ( أدهم ) نظرة سريعة على جثة ( فون هملن ) ،

وقال وهو يوقف محركات الزورق :

— مسكين أنت يا آخر جابرة الجستابو .. لقد

كافحت طويلاً ؛ كي تغادر هذه الحدود ، ولكنك حين

نجحت في تجاوزها ، كنت مجرد جثة هامدة .

وسار في هدوء إلى حيث جلست ( منى ) تبكي ،

فوضع يده على كفيها ، وقال في حنان :

— لقد انتهى كل شيء يا عزيزتي .. لقد نجحنا ، وحصلنا

على الملف الذي أتيانا من أجله .. الوحيد الذي فشل هو

( آخر الجابرة ) .

\*\*\*

[ تمت بحمد الله ]

١١٠